

القول بالخير

من سيرة خير الأنام

صلى الله عليه وسلم

مع رسول الله

د. فتحي بن عيد صالح الزغم

الفوائد الحسان

من

سيرة خير الأنام صلى الله عليه وسلم

كتبه

أبو أنس فتحي بن عيد صالح الزُّمَم





المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢) .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١) .

أما بعد

فإن خير الحديث كتابُ الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر



الأمر محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

إن مدارس السيرة النبوية فيها من الفوائد العظام، والحكم والأحكام، والقارئ في سير السابقين حتماً تتسع مدارك عقله، ويزيد على الفور فهمه، وتُشجذ همته للخير ويزداد فضله، لا سيما أن كانت السيرة هي سيرة خير الأنام ﷺ؛ لذا استعنت بالله عز وجل أن أخوض بحر السيرة؛ لأقف على الفوائد والحكم المتعلقة بالنبى ﷺ من حال يتمه ورعيه للغنم وختاماً بهجرة إلى المدينة، وجمعت هذه الفوائد في هذا الجزء الذي أسميته "الفوائد الحسان من سيرة خير الأنام ﷺ" عسى الله أن يتقبل مني صالح الأعمال، وأن يجعلها لي زادا بعد الرحيل، وأن ينفع سائر المسلمين بما جمعت إنه ولي ذلك والقادر عليه وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو أنس فتحي بن عيد صالح الزغم



الفائدة الأولى

اسم النبي ﷺ

ثبت بعض الأسماء الصريحة في الكتاب
والسنة للنبي ﷺ وهي:

قال الله ﷻ: ﴿وَأَذَقَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

قال الله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ



فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَغَيْظِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٩].

وجاء في السنة أسماء عدة ، هي: مُحَمَّدٌ ،
أَحْمَدُ ، وَ الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ،
وَالْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِهِ ، وَ الْعَاقِبُ
الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ ، وَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ، وَنَبِيُّ
التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ . عن مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ
مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا
أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي ، الَّذِي يَمْحَىٰ بِي الْكُفْرُ ، وَأَنَا
الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى عَقْبِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ
وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ» [١].

وفي رواية عند مسلم أيضا «إِنَّ لِي أَسْمَاءً ،
أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ
بِي الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى
قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ ، وَقَدْ سَمَّاهُ
اللَّهُ رَعُوفًا رَحِيمًا» .

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً ، فَقَالَ :

(١) صحيح البخاري (٤٨٩٦) بدون " وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
نَبِيٌّ " ، ومسلم (٢٣٥٤) .



«أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ
التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»^[١].

وفي بعض الأحاديث تحديد عدد الأسماء : «
لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَأَنَا
الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ
الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ »^(٢).

قال ابن حجر - رحمه الله:

والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء أختص
بها لم يسم بها أحد قبلي أو معظمة أو مشهورة
في الأمم الماضية لا أنه أراد الحصر^[٣].

قال النووي - رحمه الله:

قال العلماء وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع ان
له ﷺ أسماء غيرها كما سبق لأنها موجودة في
الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة^[٤].

^(١) مسلم (٢٣٥٥).

^(٢) صحيح البخاري (٣٥٣٢).

^(٣) فتح الباري (٥٥٦/٦).



قال ابن القيم - رحمه الله:

فِي أَسْمَائِهِ ﷺ وَكُلُّهَا نُعُوتٌ لَيْسَتْ أَعْلَامًا مَخْضَةً
لِمَجَرَّدِ التَّعْرِيفِ، بَلْ أَسْمَاءٌ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتٍ
قَائِمَةٍ بِهِ تُوْجِبُ لَهُ الْمَدْحَ وَالْكَمَالَ.

فَمِنْهَا مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أَشْهَرُهَا، وَبِهِ سُمِّيَ فِي
التَّوْرَةِ صَرِيحًا كَمَا، وَمِنْهَا أَحْمَدُ، وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي
سَمَّاهُ بِهِ الْمَسِيحُ، وَمِنْهَا: الْمُتَوَكَّلُ، وَمِنْهَا
الْمَاحِي، وَالْحَاشِرُ، وَالْعَاقِبُ، وَالْمُقَفَّى، وَنَبِيُّ
النُّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ الْمُلْحَمَةِ، وَالْفَاتِحُ،
وَالْأَمِينُ.

وَيَلْحَقُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ: الشَّاهِدُ، وَالْمُبَشِّرُ،
وَالنَّبَشِيرُ، وَالنَّذِيرُ، وَالْقَاسِمُ، وَالضَّحُوكُ، وَالْقَتَّالُ،
وَعَبْدُ اللَّهِ، وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ، وَسَيِّدُ وِلْدِ آدَمَ،
وَصَاحِبُ لِيوَاءِ الْحَمْدِ، وَصَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ،
وَعَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَهُ إِذَا كَانَتْ
أَوْصَافَ مَدْحٍ فَلَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ اسْمٌ، لَكِنْ يَنْبَغِي
أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ الْوَصْفِ الْمُخْتَصِّ بِهِ أَوْ الْعَالِبِ عَلَيْهِ
وَيُشْتَقُّ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ، وَبَيْنَ الْوَصْفِ الْمَشْتَرِكِ فَلَا
يَكُونُ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ يَخْصُهُ.

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/١٠٦).



وَأَسْمَاؤُهُ ﷺ نَوْعَانِ:

أحدهما:

خَاصٌّ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمُحَمَّدٍ،
وَأَحْمَدَ، وَالْعَاقِبِ، وَالْحَاشِرِ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيِّ
الْمَلْحَمَةِ.

الثاني:

مَا يُشَارِكُهُ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ وَلَكِنْ لَهُ
مِنْهُ كَمَالُهُ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِكَمَالِهِ دُونَ أَصْلِهِ،
كَرَسُولِ اللَّهِ، وَنَبِيِّهِ، وَعَبْدِهِ، وَالشَّاهِدِ، وَالْمُبَشِّرِ،
وَالنَّذِيرِ، وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيِّ النَّوْبَةِ.

وَأَمَّا إِنْ جُعِلَ لَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ اسْمٌ
تَجَاوَزَتْ أَسْمَاؤُهُ الْمَائَتَيْنِ، كَالصَّادِقِ، وَالْمَصْدُوقِ،
وَالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ. وَفِي هَذَا قَالَ
مَنْ قَالَ مِنَ النَّاسِ: إِنَّ لِلَّهِ أَلْفَ اسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ اسْمٍ، قَالَهُ أَبُو الْخَطَّابِ بِنُ
دِحْيَةَ، وَمَقْصُودُهُ الْأَوْصَافُ [١].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٨٤ - ٨٦).



هل يسن وطه من أسماء النبي ﷺ؟

طه ويسن من الحروف المقطعة مثل الم في أول البقرة وغيرها من السور ، وأما ما يذكره بعض الناس أن طه ويسن من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم فليس له أصل .

قال ابن كثير - رحمه الله:

قال ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: طه: يا رجل، وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبو مالك وعطية العوفي والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن أبيزى أنهم قالوا: طه بمعنى: يا رجل.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَعِزْرَمَةَ وَالضَّحَّاكِ وَالْحَسَنِ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّ يَسَ بِمَعْنَى يَا إِنْسَانَ ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ كَذَلِكَ فِي لُغَةِ الْحَبَشَةِ (١).

قال السعدي - رحمه الله:

(١) تفسير ابن كثير (٤٩٩/٦) (٢٤٠/٥).



أَظْهَرَ الْأَقْوَالَ فِيهِ عِنْدِي أَنَّهُمَا مِنَ الْحُرُوفِ
 الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ أَنَّ الطَّاءَ
 وَالْهَاءَ الْمَذْكُورَتَيْنِ فِي سُورَةِ طه ، جَاءَتَا فِي
 مَوَاضِعَ أُخْرَى لَا نِزَاعَ فِيهَا فِي أَنَّهُمَا مِنَ الْحُرُوفِ
 الْمُقَطَّعَةِ، أَمَّا الطَّاءُ فَفِي فَاتِحَةِ الشُّعْرَاءِ وَالنَّمْلِ،
 وَالْقَصَصِ وَأَمَّا الْهَاءُ فَفِي فَاتِحَةِ مَرْيَمَ.

وَالْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ فِي سُورَةِ يَسْنَ ذُكِرَتْ فِي فَاتِحَةِ
 سُورَةِ مَرْيَمَ وَالسِّينُ الْمَذْكُورَةُ فِيهِ ذُكِرَتْ فِي أَوَّلِ
 الشُّعْرَاءِ وَالْقَصَصِ، وَفِي أَوَّلِ النَّمْلِ ، وَفِي أَوَّلِ
 الشُّورَى (١) .

١ (أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي (٣/٤)(٢٨٦/٦).



الفائدة الثانية

حكمة يتم النبي ﷺ

لقد اختار الله تعالى لنبيه ﷺ أن يُولد يتيم الأب، حيث مات أبوه عبد الله، وهو جنين في بطن أمه، وتزوج عبد الله من آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فبنى بها في مكة، وبعد قليل أرسله عبد المطلب يمتار لهم تمرًا من المدينة، فمات بها، وكانت وفاته قبل أن يُولد رسول الله ﷺ.

وقيل: بل خرج تاجرا إلى الشام، فأقبل في عير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها، ودفن في دار النابغة الجعدي، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل أن يولد رسول الله ﷺ، وبه يقول أكثر المؤرخين.

وقيل: بل توفي بعد مولده بشهرين (١)، وتُوِّفِيَتْ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ وَوَلَّهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ، ثُمَّ

(١) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المبار كفوري ص: ٥٨.



كَانَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ وَلَهُ
مِنَ الْعُمَرِ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ (١).

ولعل الحكمة من وراء يتمه ﷺ ما يلي :

أولاً: كمال القدوة وشمولها:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فالنبي ﷺ أسوة لكل البشر، كبيرهم وصغيرهم،
ومن بين الصغار كان اليتامى، فكان تحقيقاً لكمال
الأسوة النبوية أن يكون يتيم الأب والأم؛ ليجد
فيه اليتيم أسوته وقدوته، فهنيئاً للأيتام تشبههم
برسولهم الكريم، وهنيئاً لهم اشتراكهم معه ﷺ في
صفة من صفاته وهي اليتيم.

ثانياً: أن ينشأ صلباً قوياً بعيداً عن الترف والدعة:

فإنه ﷺ يؤهل نبيه الكريم ﷺ لأعظم مسؤولية في
التاريخ، وهي حمل رسالته وتبليغها إلى البشرية
كلها، فكان لا بد أن يتدرب على تحمل المسؤولية

(١) تفسير ابن كثير (٤١٣/٨).



منذ صغره، فالنبي ﷺ لم يعرف منذ صغره حياة الترف والنعموة، وإنما عاش حياة الفقر والخشونة، فرعى الغنم وهو صبي صغير، وقد أخبر أصحابه ﷺ، بذلك . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(١).

ثالثا: لكي لا يتعلق قلبه بأحد غير الله - عز وجل:

ولعل هذه من أهم الحكم من يتمه ﷺ؛ لأن في كثير من المواقف يكون الوالدين عقبة في طريق الحق، لاسيما إن تربي كل منهما على أعراف فاسدة، وأخلاق ذميمة.

والناظر في عين الواقع الآن يجد هذا جليا في حياة الشباب والفتيات، كل منهم يريد أن يتغير ويلتزم بالتعاليم الإسلامية فهذا يريد أن يطلق لحيته، وهذه تريد أن تتحجب فيكون العائق والحائل بين هؤلاء و بين ما يريدون الأهل وأقرب الأقربين يستخدمون في ذلك حججا واهية وباطلة، ولعل المانع من ذلك أيضا هو التخلص من

^(١) صحيح البخاري (٢٢٦٢).



الشعور بذنب التقصير مع الله ﷻ فلا يجد الشاب أو الفتاة مخرجا من ذلك إلا اتباع الباطل مجبرا ،إلى أن يألف ذلك الباطل فيختاره قلبه ويؤثر هواه ذلك الباطل على الحق بعد ذلك .

ولعل من أقرب الأمثلة في كتاب الله قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

قال الله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذْتُ صَاحِبًا مِمَّنْ آتَىٰ بِكُلِّ بَنِي آدَمَ مِمَّا قَدَّمْتَهُ عَلَيْهِمْ شَاهِدَةً ۖ أَتَىٰ بِكُلِّ بَنِي آدَمَ سِتْرَةً ۖ ثُمَّ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَإِنَّكَ لَمِنَ الضَّالِّينَ ۚ ﴾

وَقَوْمِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ [الأنعام: ٧٤].

قال الله ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَذَابًا فَجَاءَكَ بِسِتْرَةٍ ۚ لِيَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ ۚ ﴾

لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿ [مريم: ٤٦].

قال ابن كثير - رحمه الله :

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ جَوَابِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ لَوْلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَذَابًا فَجَاءَكَ بِسِتْرَةٍ ۚ لِيَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ ۚ أَلَيْسَ بِسِتْرَةٍ تَرِضَاهَا، فَانْتَهَى عَنْ سَبِّهَا وَشْتِمِهَا وَعَيْبِهَا، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَنْتَهَ عَنْ ذَلِكَ افْتَصَّصْتُ مِنْكَ وَشَتَّمْتُكَ



وَسَـ _____ بِبَيْتِكَ (١).

رابعاً : أن يتكفل الله بتكوين نفسه الزكية .

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ جِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ [الضحى: ٦].

قال ابن عاشور - رحمه الله :

فَالْمَعْنَى أَنْشَأَكَ عَلَى كَمَالِ الْإِدْرَاكِ وَالِاسْتِقَامَةِ
وَكُنْتَ عَلَى تَرْبِيَةٍ كَامِلَةٍ مَعَ أَنْ شَأْنَ الْإِيْتَامِ أَنْ
يَنْشَأُوا عَلَى نَقَائِصٍ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يُعْنَى
بِتَهْدِيْبِهِمْ وَتَعَهْدِ أَحْوَالِهِمُ الْخُلُقِيَّةِ ، فَكَانَ تَكْوِينُ
نَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ عَلَى الْكَمَالِ خَيْرًا مِنْ تَرْبِيَةِ الْأَبْوَيْنِ
(٢).

قال ابن حزم - رحمه الله:

ورباه الله تعالى محفوفاً باللفظ، يتيماً لا أب له،
ولا أم، فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق، والطرق
الحميدة (٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٨/٥ - ٢٠٩).

(٢) التحرير والتنوير (٣٩٩/٣٠).

(٣) جوامع السيرة النبوية ص: ٣٥.



الفائدة الثالثة

الحكمة من رعي الأغنام

قال الشيخ زكريا الأنصاري - رحمه الله:

والحكمة في رعيهم الغنم قبل النبوة: التمرن برعيها المستلزم لمشقة القيام بها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمهم، وخص الغنم بالذكر؛ لأنها أضعف من غيرها^(١).

قال أبو الزناد - رحمه الله:

خص الغنم من بين سائر الأشياء حضا على التواضع وتبنيها على إثارة الخمول وترك الاستعلاء والظهور^(٢) وقد تعلم من الرعي سعة الصدر، وطول البال والصبر، واليقظة على رعيته، والعناية بها، والذود عنها، وجمع شاردها.

^(١) تحفة الباري (٩/٥).

^(٢) شرح صحيح البخاري: ابن بطال (٧١/١).



قال ابن بطال - رحمه الله :

أن ذلك توطئة وتقدمة في تعريفه سياسة العباد، واعتباراً بأحوال رعاة الغنم، وما يجب على راعيها من اختيار الكلاً لها، وإيرادها أفضل مواردها، واختيار المسرح والمراح لها، وجبر كسيرها، والرفق بضعيفها ، ومعرفة أعيانها وحسن تعهدها، فإذا وقف على هذه الأمور كانت مثلاً لرعاية العباد، وهذه حكمة بالغة (١).

قال ابن نيمية - رحمه الله:

هذه حكمة بالغة، وتدرّج من الله تعالى لهم إلى كرامته، وتدريب برعايته كـ لسياسة أممهم من خلقه بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ويتقدم العلم بذلك (٢).

قال ابن حجر - رحمه الله:

(١) المرجع السابق (٣٨٦/٦).
(٢) الرد على الإخنائي ص: ٢٢٤.



قَالَ الْعُلَمَاءُ الْحِكْمَةُ فِي إِهَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعِي
الْغَنَمِ قَبْلَ النَّبُوءَةِ أَنْ يَحْصُلَ لَهُمُ النَّمْرُنُ بِرَعِيهَا عَلَى
مَا يُكَلِّفُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ وَلِأَنَّ فِي
مُخَالَطَتِهَا مَا يُحْصِلُ لَهُمُ الْجَلْمَ
وَالشَّفَقَةَ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعِيهَا وَجَمَعَهَا بَعْدَ
تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقَلَهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَى مَسْرَحٍ
وَدَفَعَ عَدْوَهَا مِنْ سَبْعٍ وَغَيْرِهِ كَالسَّارِقِ وَعَلِمُوا
اِخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا
وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى الْمُعَاهَدَةِ أَفْوَا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرِ عَلَى
الْأُمَّةِ وَعَرَفُوا اِخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَتَفَاوُتَ عُقُولِهَا
فَجَبَرُوا كَسْرَهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ
لَهَا فَيَكُونُ تَحْمَلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ كَلَّفُوا
الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ
التَّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ بِرَعِي الْغَنَمِ وَخُصَّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ
لِكَوْنِهَا أَوْعَفُ مِنْ غَيْرِهَا وَلِأَنَّ تَفَرُّقَهَا أَكْثَرُ مِنْ
تَفَرُّقِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ لِإِمْكَانِ ضَبْطِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرَّبْطِ
دُونِهَا فِي الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ وَمَعَ أَكْثَرِيَّةِ تَفَرُّقِهَا فَهِيَ
أَسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا (١).

قال نور الدين علي الحلبي - رحمه الله :

(١) فتح الباري (٤/٤٤١).



ومـن حكمة الله ﷻ في ذلك أن
الرجل إذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم
سكن قلبه الرأفة واللفظ تعطفًا، فإذا انتقل من ذلك
إلى رعاية الخلق كان قد هذب أولاً من الحدة
الطبيعية والظلم الغريزي، فيكون في أعدل الأحوال
(١).

(١) السيرة الحلبية (١/١٨٤).



الفائدة الرابعة

بوادر بركة النبي ﷺ وطرق تحصيلها

عَنْ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ قَالَتْ: خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ بِمَكَّةَ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ لَمْ تُبْقِ شَيْئًا، وَمَعِيَ زَوْجِي، وَمَعَنَا شَارِفٌ لَنَا، وَاللَّهِ مَا إِنْ بِيضٌ عَلَيْنَا بِقَطْرَةٍ مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِيَ صَبِيٌّ لِي إِنْ نَنَامَ لَيْلَتَنَا مِنْ بُكَائِهِ مَا فِي تَدْيِيٍّ مَا يُغْنِيهِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ لَمْ تَبْقَ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا عَرَضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأَبَاهُ، وَأَنَّمَا كُنَّا نَرْجُو كَرَامَةَ الرِّضَاعَةِ مِنَ الْوَالِدِ الْمُؤَلُودِ، وَكَانَ يَتِيمًا، وَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمًا مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ بِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةٌ إِلَّا أَخَذْتُ صَبِيًّا غَيْرِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا وَقَدْ أَخَذْتُ صَوَاحِبِي، فَقُلْتُ لِرِزْوَجِي: وَاللَّهِ لَأَرْجِعَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَا أَخْذُنُهُ، فَاتَيْتُهُ، فَأَخَذْتُهُ وَرَجَعْتُ إِلَى رَحْلِي، فَقَالَ زَوْجِي: قَدْ أَخَذْتِيهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ وَاللَّهِ، وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، فَقَالَ: قَدْ أَصَبْتَ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ خَيْرًا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَعَلْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ تَدْيِيٍّ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَشَرِبَ حَتَّى



رَوِي، وَشَرِبَ أَخُوهُ - يَعْنِي ابْنَهَا - حَتَّى رَوِي،
وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا بِهَا حَافِلٌ
فَحَلَبَهَا مِنَ اللَّبَنِ مَا شِئْنَا، وَشَرِبَ حَتَّى رَوِي،
وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتُ، وَبِئْنَا لَيْلَتَنَا تِلْكَ شِبَاعًا رُوءًا،
وَقَدْ نَامَ صَبِيَانَا، يَقُولُ أَبُوهُ يَعْنِي زَوْجَهَا: وَاللَّهِ يَا
حَلِيمَةَ مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ أَصَبْتَ نَسَمَةَ مُبَارَكَةً، قَدْ نَامَ
صَبِيْنَا، وَرَوِي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا، فَوَاللَّهِ لَخَرَجْتُ
أَتَانِي أَمَامَ الرَّكْبِ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ: وَيَحْكُ كُفِّي
عْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِأَتَانِكَ الَّتِي خَرَجْتَ عَلَيْهَا؟ فَأَقُولُ:
بَلَى وَاللَّهِ، وَهِيَ قَدَامُنَا حَتَّى قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ
حَاضِرِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، فَقَدِمْنَا عَلَى أَجْدَبِ أَرْضِ
اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ حَلِيمَةَ بِيَدِهِ إِنْ كَانُوا لَيَسْرَحُونَ
أَغْنَامَهُمْ إِذَا أَصْبَحُوا، وَيَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِي فَتَرُوحُ
بِطَانًا لَبْنًا حُفْلًا ، وَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا هَالِكَةً، مَا
لَهَا مِنْ لَبَنِ، قَالَتْ: فَتَشْرَبُ مَا شِئْنَا مِنَ اللَّبَنِ، وَمَا
مِنَ الْحَاضِرِ أَحَدٌ يَحْلُبُ قَطْرَةً وَلَا يَجِدُهَا، فَيَقُولُونَ
لِرَاعِيهِمْ: وَيَلْكُمْ أَلَا تَسْرَحُونَ حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي
حَلِيمَةَ، فَيَسْرَحُونَ فِي الشَّعْبِ الَّذِي تَسْرَحُ فِيهِ،
فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا بِهَا مِنْ لَبَنِ، وَتَرُوحُ
غَنَمِي لَبْنًا حُفْلًا... (١).

(١) صحيح ابن حبان (٦٣٣٥)، تاريخ الإسلام: الذهبي (٤/١١)



فالمأمل في هذه القصة تبين له ظهور بركة النبي ﷺ على مرضعته من أول وهلة فكان ثديها لا يكفي وليدها، فما أن أخذت النبي ﷺ در ثديها باللبن فطعما وشبعا حتى ناما، وكذلك الشارف التي شكت قلة لبنها، أصبحت حافلا، وكذلك اغنامها التي كانت تسرح في ديار بني سعد وهي أجدب أرض، كانت تروح بطانا حفلا. كما يظهر جليا أن اختيار الله - عز وجل - للإنسان هو الخير المحض، فلو أن حليمة أخذت طفلا وتركت النبي ﷺ لما تعرضت لمثل هذه البركات والخير الوفير، وهذا درس لكل مسلم بأن يطمئن قلبه إلى قدر الله واختياره والرضا به، ولا يندم على ما مضى وما لم يقدره الله ﷻ.

ولعل من أهم الأسباب الجالبة للبركة في حياة

المسلم ما يلي:

تقوى الله عز وجل والتوكل عليه:

وقال إسناده جيد.



قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فليس هناك أعظم بركة من أن يأتي للإنسان رزقه من حيث لا يحتسب ولا يتوقع، وأن يكون الله عز وجل هو حسبه وكافيه في تحقيق ما يؤمل ودفع ما يحاذر، وأن يجعل الله تعالى له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً؛ إنها أسباب البركة الواسعة، والعافية السابغة، والخير الكثير المتنوع المتعدد، تجتمع وتتكاثر حول من يتقي الله ويتوكل عليه، ويمتلئ قلبه بخشيته وتفويض الأمر إليه.

الاستغفار:

فذنوب الإنسان تحجب عنه البركات التي أودعها الله عز وجل في هذه الأرض .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا



وبارك فيها وقدر فيها أقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴿

(فصلت: ٩-١٠).

فإذا به يسعى ولا بركة في سعيه، ويجمع ولا بقاء ولا قرار لما يجمعه، فإذا ما تاب إلى رشده، وآب إلى ربه، ولهج لسانه بالاستغفار، ساق الله له من البركات، فإذا بالخير يتدفق من كل جانب، وينحدر من كل صوب .

قال تعالى ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ ﴿١٢﴾ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (نوح: ١٠-١٢).

الدعاء:

فهو السلاح الذي يحملة المؤمن ليلا ونهارا ، سلاح لا يكسر ولا يصدأ، سلاح به العبد يتعبد، وبه الرب يفرح ، ويستجيب .

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠).



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا
 أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَإِذَا أَخَذَهُ قَالَ:
 «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا،
 وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدْنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ
 إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيكَ وَنَبِيَّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيَّكَ،
 وَإِنَّ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا
 دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ» (١).

إِتْبَاعُ السَّنَةِ :

فَاتِّبَاعُ السَّنَةِ وَهَدْيُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي كُلِّ مَا حَضَرَ
 عَلَيْهِ وَأَمْرٌ بِهِ حَتَّى فِي الْأَدَابِ الْعَامَةِ مَعَ الطَّعَامِ
 وَالشَّرَابِ، يَجِدُ الْعَبْدَ الْبَرَكَةَ الَّتِي نَبَهَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ
صلى الله عليه وسلم.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:
 «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ،
 وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ» (٢).

(١) مسلم (١٣٧٣).
 (٢) الترمذي (١٨٠٥). قال: حسن صحيح.



وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرُونَ في أي طعامكم البركة»^(١).

البعد عن الشح والشره في أخذ المال:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطَيْبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»^(٢).

(١) مسلم (٢٠٣٣).

(٢) مسلم (١٠٣٥).



الفائدة الخامسة

حكمة شق صدر النبي ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْعُلَمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعهُ فَشَقَّ قَلْبَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَقَّةً، فَقَالَ: «هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْعُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظَنُّرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ مُنْتَقِعِ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمُخِيطِ فِي صَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١).

ولعل الحكمة من ذلك :

أولاً :

إن شق الصدر كان لإخراج حظ النفس والشيطان من قلبه، و كان الله - عز وجل - يقدر أن يضع في قلب النبي ﷺ ما يشاء الله له من فضل وخير،

(١) مسلم (١٦٢)، وصحيح ابن حبان (٦٣٣٤).



بصورة معنوية غير مدركة بالحواس ولعل في ذلك
حكمة أخرى وهي اظهار ذلك للناس، وكأنه تهيئة
لنفوسهم لما هو قادم من آيات.

ثانياً:

قلب الإنسان قد ران عليه الخوف والشهوة
والطمع وغير ذلك من السيئات، فأراد الله أن
يذهب عنه الرجس ويظهره تطهيراً، فأبعد عنه ما
غشى قلوب الناس، وفتح قلبه ونقاه من كل سوء
حتى يستعد للنبوة (١).

ثالثاً :

تلك حالة تطور في حواس النبي ﷺ الباطنة
ومهياتها لتستعد تلك الجوارح الباطنة للاتصال
بالعالم الملكي، وتلقي الوحي الرباني، وإفاضة
العلم والحكمة (٢).

رابعاً :

(١) مجلة الرسالة : أحمد حسن الزيات باشا (ع: ١١/١٣١).
(٢) النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح : محمد
الظاهر ابن عاشور ص: ٢٨٣.



وَقَعَ الشَّقُّ فِي زَمَنِ الطُّفُولِيَّةِ حَتَّى يَنْشَأَ النَّبِيُّ ﷺ
 عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعَصْمَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ
 وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ الْبَعْثِ زِيَادَةً فِي إِكْرَامِهِ
 لِيَتَلَقَّى مَا يُوحَى إِلَيْهِ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ فِي أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ
 مِنَ التَّطْهِيرِ ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْعُرُوجِ
 إِلَى السَّمَاءِ لِيَتَأَهَّبَ لِلْمُنَاجَاةِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ
 الْحِكْمَةُ فِي الْعَسَلِ لِنَقَعِ الْمُبَالَعَةِ فِي الْإِسْبَاغِ
 بِحُصُولِ الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي شَرَعِهِ (١) .

خامسا :

أن الشق تم به نزع ما في قلبه مما يضره ، وهو
 إشارة إلى عصمته ﷺ (٢) .

(١) فتح الباري : ابن حجر (٢٠٥/٧) .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : أبو العباس أحمد
 بن عمر بن إبراهيم القرطبي ص: ٣٨٣ .



الفائدة السادسة

أول الواجبات وآخر الوصايا

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى» (١).

قال ابن حجر - رحمه الله :

فَاتَهُ ﷺ كَانَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ (٢).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ ﷺ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى،

(١) صحيح البخاري (٣٩٣٥).

(٢) فتح الباري (٦٧١/٨).



قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي.. (١).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ عَامَّةٌ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: " الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ". حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْرِغُ بِهَا صَدْرَهُ، وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانَهُ (٢).

فَالصَّلَاةُ أَهْمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَعَادَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: " إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوجِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ،

(١) صحيح البخاري (٣٤٩).

(٢) مسند أحمد (١٢١٦٩)، وابن ماجه (١٦٢٥) وكذلك من طرق علي بن أبي طالب عنده بإسناد جيد، قاله: الشيخ شعيب الأرنؤوط وصححه الالباني - رحمهما الله .



فَأَخْبِرْهُمْ أَنْ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ... " (١) .

وقد أمر الله تعالى بالمحافظة عليها في كلِّ حال؛
حضرًا وسفرًا، سِلْمًا وحَرْبًا، صِحَّةً ومرضىًا.

قال الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، فقال: "صَلِّ قائمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ" (٢) .

وهي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخيرة لأُمَّتِهِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ عَامَّةً وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ

(١) صحيح البخاري (٧٣٧٢).

(٢) صحيح البخاري (١١١٧).



حَضَرَهُ الْمَوْتُ: " الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ الصَّلَاةَ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " (١).

^١ (مسند أحمد (١٢١٦٩)، وسنن ابن ماجة عَنْ أُمِّ
سَلْمَةَ (١٦٢٥)، وسنن النسائي (٧٠٦١). قال الشيخ شعيب: صحيح
لغيره.



الفائدة السابعة

الأخلاق الفاضلة تيسر طريق الدعوة

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا
بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ
فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ قَلْبِ
الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ
حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ
الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ
يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ
وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ:
«مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ
مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا
بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ
ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ،
فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾

[العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ،

فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،



فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَرَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ حَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ حَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ابْنِ عَمِّ حَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ حَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرَجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ(١).

(١) صحيح البخاري (٣).



المتأمل في هذا الخبر جيدا يرى مدى أهمية الأخلاق في حياة الإنسان؛ إذ أنها منجية ومعينة في أمور عظيمة، ولعل ذلك يظهر جليا في قول أمنا خديجة عليها السلام للنبي صلى الله عليه وسلم والله لا يخزيك الله أبدا ثم ذكرت الأسباب التي تحفظ من الخزي، ولا شك أن الذي ذكرته عليها السلام يبرز جانبا عظيما من حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وهو الجانب الاجتماعي والتعاطفي والتراحمي .

فتجلت آثار هذه الأخلاق تباعا، وأولها تظمين زوجه وأم ولده له صلى الله عليه وسلم حينما جاء جبريل - عليه السلام - بالوحي، وكذلك تأييدها ونصرتها له صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عَائِشَةَ عليها السلام قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَتْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ، قَالَتْ: فَعِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذَكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبَدَلَكِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: " مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَسَّيْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ " (١).

(١) مسند أحمد (٢٤٨٦٤). قال الشيخ شعيب : صحيح.



وهذه الأخلاق لها دور بديع في الدعوة إلى الله ﷻ فهي من العوامل المهمة في جذب الناس إلى الداعية وتأثرهم به وقبولهم لدعوته ، فالناس مفطورون على محبة الفضائل والانجذاب إليها، والنفور من القبائح والابتعاد عنها، والداعية إلى الله أحوج ما يكون إلى التخلق والاتصاف بالأمور المحببة إلى قلوب الناس، فضلا عن أنها من واجبات المسلم.

قال أبو حاتم البستي - رحمه الله:

الواجب على العاقل أن يتحجب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها.

وأنشدني البغدادي :

خالق الناس مخلق حسن . . . لا تكن كلبا على الناس يهر

والقهم منك يبشر ثم صن . . . عنهم عرضك عن كل قدر



عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: "إِنَّ الرَّحِمَ تَقَطُّعٌ وَإِنَّ النَّعَمَ تُكْفَرُ وَلَمْ أَرْ مِثْلَ تَقَارُبِ الْقُلُوبِ" (١).

قال ابن تيمية - رحمه الله:

جماع الخلق الحسن مع الناس، أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام، والدُّعَاءِ لَهُ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالنَّتَاءِ عَلَيْهِ وَالزِّيَارَةِ لَهُ وتعطي من حرمك التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عن ظلمك في دم أو مال أو عرض (٢).

فينبغي على الداعي إلى طريق الحق أن يتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والمواساة للضعيف والمهموم، أن يحمل عنهم ثقلهم من التفكير في متاع الدنيا بتزكية نفوسهم، وترسيخ العقيدة في قلوبهم، وأن يشاركهم أوجاعهم وأفراحهم، أن يكون اجتماعيا وددوا، ولنا في النبي صلى الله عليه وسلم أسوة كان يزور المريض، ويسأل عن الغائب، ويواسي المكروب، والسنة حافلة بالأمثلة على ذلك.

(١) روضة العقلاء ص: ٦٤.

(٢) الفتاوى الكبرى (١٠/٦٥٨).



الفائدة الثامنة

من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء]:

[٢١٤] قال: «يَا مَعْشَرَةَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا -

اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» (١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي

(١) صحيح البخاري (٢٧٥٣)، مسلم (٢٠٤).



عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ
طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى
الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ،
يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ فِيهِ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ
عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ
الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ
عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» (١).

قال النووي - رحمه الله:

مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ مَعْنَاهُ مَنْ كَانَ
عَمَلُهُ نَاقِصًا لَمْ يُلْحِقْهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ
فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّ عَلَى شَرَفِ النَّسَبِ وَفُضِيلَةِ
الْأَبَاءِ وَيَقْصِرَ فِي الْعَمَلِ (٢).

قال ابن رجب - رحمه الله :

فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند
الله تعالى، لم يسرع به نسبه، فيبلغه تلك الدرجات،
فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال، لا على

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (٢٣-٢٢/١٧).



الأنساب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ
يُنْهَمُ يَوْمَئِذٍ وَلَا تَيْسَاءُ لُونٌ﴾ ، وقد أمر الله تعالى
بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال، كما
قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ
الْغَيْظَ﴾ الآيتين، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ .

قال ابن مسعود:

يأمر الله بالصراط، فيضرب على جهنم، فيمرُّ
النَّاسُ على قدر أعمالهم زُمرًا زُمرًا، أوائلهم كلمح
البرق، ثم كمرِّ الرِّيح، ثم كمرِّ الطَّير، ثم كمرِّ
البهائم، حتَّى يمرَّ الرَّجُلُ سعيًا، وحتَّى يمرَّ الرَّجُلُ



مشياً، حتى يمرّ آخرهم يتلبّط على بطنه، فيقول: يا ربّ، لم بطأت بي؟ فيقول: إنّي لم أبطئ بك، إنّما بطأ بك عملك^(١).

فمن آخره عمله عن دخول الجنة وبلوغ المنازل العالية فليس نسبه هو الذي يسرع به إليها. فعم النبي ﷺ أبو لهب من أقرب الناس إليه؛ لأنه أخو أبيه، ومع ذلك فإنه من أهل النار لكفره وعدم إيمانه، وقد أنزل الله عز وجل فيه سورة تتلى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ [المسد: ١]؛ لأن الأعمال الصالحة هي الميزان، وهي المعتبرة في الإسلام؛ لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[الحجرات: ١٣]، فالعبرة إنّما هي بالأعمال، وليست بالأنساب، فالنسب بدون عمل صالح لا يفيد صاحبه شيئاً، وإلا لما دعا النبي ﷺ أهله إلى العمل الصالح، ونبه أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، ولو كان الأمر كما يتخيل بعض المفتونين

(١) مستدرک الحاكم (٨٧٧٢) قال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.



بذلك لكان أولى الناس بها ابنته وعمته وأهل بيته، فضلاً عن عمه، فقد رفع الإسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو من الفرس، وليس من العرب، ووضع أبا لهب وهو من بني هاشم، وهو ابن عبد المطلب، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن كفره وعدم إيمانه وضعه؛ ولم يستفد بنسبه شيئاً؛ لأن العبرة ليست بالأنساب وإنما هي بالأعمال الصالحة وبتقوى الله عز وجل. أما كونه يجمع بين النسب الشريف وبين العمل الصالح فيكون قد جمع بين الحسينيين.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه حَدَّثَهُ فِي نَفَرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ". قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التَّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ الْعَاشِرِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ مِنَ الْعَاشِرِ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللَّهِ، أَبُو الْأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ: "أَبُو الْأَعْوَرِ هُوَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ".^(١)

^(١) الترمذي (٣٧٤٨). الحديث صحيح.



الفائدة التاسعة

قوة تأثير القرآن في النفوس المشركة

القرآن كلام الله عز وجل له من التأثير في النفوس ما لا يعرفه إلا من ذاق لذة تلاوته والتدبر في معانيه والعمل بأحكامه ؛لما لا وقد قال الله تعالى:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(ص: ٢٩) .

بلغ تأثير القرآن العظيم مبلغاً خرق به العادة المعهودة من تأثير الكلام في النفوس، واستيلائه على قلوب المخاطبين استيلاءً عظيماً ، ومن أعظم مشاهد التأثير حينما سجد المشركون مع النبي ﷺ وهم على كفرهم.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ»^(١) .

(١) صحيح البخاري (٤٨٦٢).



في هذه الواقعة ضرب لنا كفار قريش مثلاً واقعياً يبين أثر القرآن العظيم على قلوبهم - رغم كفرهم - فلم يتمالكوا أنفسهم ، فسجدوا وهم مشركون، وهم يمارون في الوحي والقرآن، وهم يجادلون في الله ورسوله.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ " قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ" (١) .

قال ابن كثير - رحمه الله:

وكان جبيرٌ لما سمع هذا مشركاً على دين قومه، وإنما كان قدِمَ في فداء الأسارى بعد بدر، وناهيك بمن توثّر قراءته في المشرك المصّر على الكفر، فكان هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوعٍ من القلب (٢) .

(١) صحيح البخاري (٤٨٥٤).

(٢) فضائل القرآن ص: ١٩٤.



وَكَانَ الطَّفِيلُ بِنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ
مَكَّةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ
قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطَّفِيلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا،
قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادِنَا، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ - وَهُوَ
الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا - فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا،
وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ
الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ، وَإِنَّمَا نَخَشَى
عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ حَلَّ عَلَيْنَا، فَلَا تُكَلِّمَهُ وَلَا
تَسْمَعْ مِنْهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ
لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا أَكَلِمَهُ حَتَّى حَشَوْتُ فِي
أُذُنِي حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا، فَرَقًا مِنْ أَنْ
يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ.

قَالَ: فَعَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ
يُصَلِّي عِنْدَ الْكُعْبَةِ، فَقُمْتُ قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا
أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، فَسَمِعْتُ كَلِمًا حَسَنًا فَقُلْتُ
فِي نَفْسِي: وَاتَّكَلَّ أُمِّيَاهُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ
شَاعِرٌ، مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَا
يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ؟ فَإِنْ كَانَ
مَا يَقُولُ حَسَنًا قَبِلْتُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُ.

قَالَ: فَمَكَّنْتُ حَتَّى انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى
بَيْتِهِ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ:
يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي: كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ مَا



بَرَحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أذُنِي بِكُرْسُفٍ
 لِنَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيهِ،
 فَسَمِعْتُ قَوْلًا حَسَنًا، فَأَعْرَضَ عَلَيَّ أَمْرَكَ، فَأَعْرَضَ
 عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْإِسْلَامَ،
 وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ
 أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ، فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ
 شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ إِنِّي أَمْرٌ مُطَاعٌ
 فِي قَوْمِي، وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ، فَدَاعَيْهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ،
 فَادَعُ اللَّهُ لِي أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ عَوْنًا لِي
 عَلَيْهِمْ، فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ
 آيَةً) ، قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ
 تَطْلُعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ، وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْ مِثْلُ
 الْمِصْبَاحِ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي إِنِّي أَخْشَى
 أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثَلَّةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِإِرَاقِي
 دِينِهِمْ، قَالَ: فَتَحَوَّلَ فَوْقَ فِي رَأْسِ سَوْطِي كَالْقَنْدِيلِ
 الْمُعْلَقِ، وَأَنَا أَنْهَبُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ حَتَّى جِئْتُهُمْ،
 وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا نَزَلْتُ، أَتَانِي أَبِي، وَكَانَ شَيْخًا
 كَبِيرًا، فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ، فَلَسْتَ مِنِّي، وَلَسْتَ
 مِنِّي، قَالَ: لِمَ يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: قَدْ أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ
 مُحَمَّدٍ. قَالَ: يَا بُنَيَّ فَدِينِي دِينُكَ. قَالَ فَقُلْتُ: أَذْهَبُ
 فَأَغْتَسِلُ وَطَهِّرُ ثِيَابِيكَ، ثُمَّ تَعَالَ حَتَّى أُعَلِّمَكَ مَا
 عَلَّمْتُ.



قَالَ: فَذَهَبَ فَأَغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ جَاءَ
فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَ ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي،
فَقُلْتُ لَهَا: إِلَيْكَ عَنِّي فَلَسْتُ مِنْكَ وَأَسْتِ مِنِّي. قَالَتْ:
لِمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قُلْتُ فَرَّقَ الْإِسْلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ،
أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ. قَالَتْ: فَدِينِي دِينُكَ.
قَالَ: قُلْتُ: فَأَذْهَبِي فَأَغْتَسِلِي، فَفَعَلْتُ ثُمَّ جَاءَتْ
فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ^(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ
يَوْمًا، فَأَتَاهُ عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَقَالَ: يَا
مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«أَفَرَعْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمَّ تُزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]
حَتَّى بَلَغَ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ
وَمُودٍ﴾ [فصلت: ١٣] "فَقَالَ لَهُ عُثْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ،
مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: «لَا» فَرَجَعَ عُثْبَةُ إِلَى
قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/٦٢٤-٦٢٥).



أَرَى أَنْكُمْ تَكَلِّمُونَهُ إِلَّا قَدْ كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بِنَبِيِّهِ مَا فَهَمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أُنذِرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ. قَالُوا: وَيَلِكُ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا فَهَمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ، غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ «(١)».

وهناك الكثير من القصص في ذلك الأمر وليس هذا مقام سردها، ولكن الفائدة التي أردت التنبيه عليها هنا هي : مدى تأثير القرآن حتى في قلوب أعداء الله؛ لأن هذا التأثير قد يكون سببا لمحاولة منع قريش للنبي ﷺ من قراءة القرآن، فحاولوا بين الناس وبين سماعه.

وقفة :

لابد من الحديث عنها، إن القرآن قد أثر في كثير من المشركين إلى هذا الحد الذي أخذ لبهم حتى جعلهم وكأنهم في سكرة، فلما لا يؤثر كلام الله ﷻ في قلوب كثير من المسلمين إلا من رحم الله ،

^١ مستدرك الحاكم (٣٠٠٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَنَمْ يُخْرِجَاهُ، إتحاف المهرة بالفوائد لابن حجر (٢٦٤٤) وقال: صحيح الإسناد.



فيعمل الواحد فيهم ويعمد على تغيير نفسه إلى
الأصلح والأفضل ، ولعل الجواب أن يكون في
كتاب ربنا : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ (

محمد: ٢٤) .

فبسبب الذنوب وكثرة الران على القلب حال
ذلك بينه وبين تدبره وفهم معانيه وأحكامه والتأثر
به ، والانقياد له ، والخضوع ، وتعجب
كل العجب حينما تسمع شهادة الجن على كلام ربنا
ﷻ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ
﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ يُهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ﴿
وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ
أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأحقاف: ٢٩-٣٢) .



وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا

سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن: ١-٢) .

لذا لا جرم أن تطرح هذه الأسئلة:

أين شهادة المسلمين على كتاب ربهم؟ .

ولما يبحثون عن الهداية في غيره؟ .

ولما يظنون أن طريق الحق في غير طريقه؟ .

ولما لا يشمروا عن سواعدهم للنظر في إعجازه ،

إحكامه المطلق؟ .

لما لا يكثرون من تلاوته؟ .

لما لا يعيشون له وبه؟ .



الفائدة العاشرة

أسباب الهجرة إلى الحبشة

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخْوَانٌ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالْآخَرُ أَبُو رُهِمٍ - إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ، أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي -، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، وَوَأَفَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَأَفَقْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ: فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرَ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ" (١).

وفي رواية "وَكَانَ أَنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا، يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، وَدَخَلْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى

(١) صحيح البخاري (٣١٣٦).



حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءَ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَخُنُّ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَانِعَكُمْ، وَيَعْظُمُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - الْبُعْدَاءِ الْبُعْضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَإِيمُ اللَّهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرِبُ شَرَابًا، حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ ﷺ، وَخُنُّ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكَرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهُ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَرْيغُ، وَلَا أَرِيدُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «فَمَا قُلْتَ لَهُ؟» قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلُ السَّفِينَةِ - هِجْرَتَانِ» (١).

ولعل من أسباب الهجرة إلى الحبشة ما يلي :

أولا : الفرار بالدين .

(١) صحيح البخاري (٤٢٣٠ - ٤٢٣١).



قد كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سبباً مهماً من أسباب هجرتهم للحبشة، ويدل على ذلك ما روى البيهقي عن أم سلمة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ، أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذني أصحاب رسول الله ﷺ، وفئتوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم..... فخرجنا إليها أرسلًا حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار إلى خير جارٍ أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظمًا (١).

ثانياً : كثرة المسلمين واشتداد العذاب والبلاء

عليهم .

لَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا يَنَالُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ بِمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ دِفَاعِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: " لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا عَادِلًا إِلَى أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا (٢).

(١) السنن الكبرى (١٧٧٣٤)، وصحيح السيرة النبوية: الألباني ص: ١٧٧.

(٢) جوامع السيرة : ابن حزم ص: ٥٥، الحاوي الكبير: المرادوي (١١/١٤).



ثالثاً: الحبشة متجر قريش .

كانت الحبشة من مراكز التجارة في الجزيرة، وقد ذكر الطبري في معرض ذكره لأسباب الهجرة للحبشة فقال : « وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش، يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً، ومتجراً حسناً»^(١).

رابعاً : الحبشة البلد الآمن .

كانت قبائل العرب في تلك الفترة تدين بالولاء والطاعة لقريش، وتسمع وتطيع لأمرها في الغالب؛ إذ لها نفوذٌ عليها، وكانت القبائل في حاجةٍ لقريش في حجّها، وتجارتها، ومواسمها، وفوق ذلك كانوا يشاركون قريشاً في حرب الدعوة، وعدم الاستجابة للنبي ﷺ ، فلم يكن خارج الجزيرة بلدً أكثر أمناً من بلاد الحبشة، ومع أنّ الحبشة بعيدة عن مكة -وقد يُعدّ هذا عيباً- إلا أنه كان لصالح المسلمين، إلى جانب أنها بلد مُستقلة سياسياً ولا تخضع لأحد، ولها اسمها، وقوتها، وتجارتها، واقتصادها الخاص والعظيم بين

^(١) تاريخ الطبري (٣٢٨/٢) . قال الشيخ محمد بن طاهر البرزنجي : مرسل وهو صحيح بشواهده (صحيح وضعيف تاريخ الطبري) (٢٥/٢).



القبائل، إضافة إلى أنّ تبادل الهدايا والمراسلات فيما بينهم كان ممّا ساعد على تأمين الحماية، وتوفيرها لهم، ولاستقرارهم هناك^(١).

^(١) الهجرة الأولى إلى الحبشة : راغب السرجاني بتصرّف.



الفائدة الحادية عشرة

النهي عن الاستغفار للمشركين

لقد ألح المرض بأبي طالب ، فلم يلبث أن وافته المنية ، وكانت وفاته في رجب سنة عشرة من النبوة، بعد الخروج من الشعب بستة أشهر. وقيل: توفي في رمضان قبل وفاة خديجة رضي الله عنها بثلاثة أيام (١)، فقد كان أبو طالب الحصن الذي تحتمي به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء، ولكنه بقي على ملة الأشياخ من أجداده، فلم يفلح كل الفلاح.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَهُمْ

يُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَيُنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٦].

قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَنْهَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَّبَعْدُ عَمَّا جَاءَ بِهِ " (٢).

(١) الرحيق المختوم: المباركفوري ص: ١٠٣.

(٢) المستدرک (٣٢٢٨) ، ومجمع الزوائد (١٠٩٩٢). قال الحاكم : صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.



ورغم ذلك لما مات أبو طالب نهي النبي ﷺ عن الاستغفار له وللمشركين عامة؛ لما روي عن ابن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ

كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:

. [١١٣]

قال ابن حجر - رحمه الله :

وهذا خبر بمعنى النهي (١).

وقوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) فتح الباري (٥٠٨/٨).



سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿ (التوبة: ٨٠) .

قال الطبري - رحمه الله:

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه حين نزلت هذه الآية قال : لأزيدن في الاستغفار لهم على سبعين مرة ؛ رجاءً منه أن يغفر الله لهم ، فنزلت ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المنافقون: ٦) (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى

قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤] .
عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي لَمَّا تُوفِّيَ، جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفِنُهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ، فَقَالَ: «أَذِنِي أَصَلِّي عَلَيْهِ»، فَأَذَنَهُ، فَلَمَّا

(١) تفسير الطبري (٣٩٥/١٤) .



أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
فَقَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ؟
فَقَالَ: " أَنَا بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ، قَالَ: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَلَنْ يُغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠]"
فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا،
وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِه ﴾ [التوبة: ٨٤] (١).

قال القرطبي المالكي - رحمه الله:

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ فَطَلَبَ الْغَفْرَانَ لِلْمُشْرِكِ مِمَّا لَا يَجُوزُ فَإِنْ
قِيلَ: فَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ كَسَرُوا
رَبَاعِيَّتَهُ وَشَجَّوْا وَجْهَهُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ" فَكَيْفَ يَجْتَمِعُ هَذَا مَعَ مَنْعِ اللَّهِ تَعَالَى
رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ طَلْبِ الْمَغْفِرَةِ لِلْمُشْرِكِينَ.
قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا كَانَ عَلَى
سَبِيلِ الْحِكَايَةِ عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ
مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَاتِبِي أَنْظُرِي إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ

(١) صحيح البخاري (١٢٦٩).



يَمْسَحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ وَيَقُولُ: "رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي
فَاتَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (١).

وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ نَبِيًّا قَبْلَهُ شَجَّهَهُ
قَوْمُهُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ عَنْهُ
بِأَنَّهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَاتَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (٢).

قُلْتُ: وَهَذَا صَرِيحٌ فِي الْحِكَايَةِ عَمَّنْ قَبْلَهُ، لَا أَنَّهُ
قَالَهُ ابْتِدَاءً عَن نَفْسِهِ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُهُمْ (٣).

وقال ابن قدامة الحنبلي - رحمه الله :

وأما أهل الحرب فلا يُصلى عليهم ؛ لأنهم كفار ،
ولا يقبل فيهم شفاعاة ، ولا يُستجاب فيهم دعاء ،
وقد نهينا عن الاستغفار لهم ، وقال الله ﷻ لنبيه
ﷺ: ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ .

وقال ﷻ: ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ (٤).

(١) لم أجد هذا الحديث عند مسلم في صحيحه.

(٢) (٣٤٧٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/٨).

(٤) المغني (٤١٧/٢).



الفائدة الثانية عشرة

موت أم المؤمنين خديجة

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، يلتقي نسبها بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس قصي بن كلاب، وكانت أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمن شرفاً، وأكثرهن مالاً، تزوجها صلى الله عليه وسلم، وبقيت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن أكرمه الله برسالاته، فأمنت به ونصرته، فكانت له وزير صدق، فهي ممن كمل من النساء فقد كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة من أهل الجنة، صلى الله عليه وسلم يثني عليها ويفضلها على سائر نسائه رضي الله عنهن وبيالغ في تعظيمها، فلم يتزوج امرأة قبلها، وكل أولاده منها إلا إبراهيم رضي الله عنه كما لم يتزوج عليها امرأة قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها^(١).

ومن بعض فضائلها رضي الله عنها ما يلي :

١- عن عَفِيفِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنْتُ امْرَأً تَاجِرًا وَكُنْتُ صَدِيقًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،

(١) فتح الباري: ابن حجر (١٣٤/٧ - ١٣٧).



فَقَدِمْتُ لِتِجَارَةٍ فَنَزَلْتُ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَنَى، «فَجَاءَ رَجُلٌ فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ حِينَ مَأَلَتْ فَقَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ جَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَامَتْ تُصَلِّي، ثُمَّ جَاءَ غُلامٌ حِينَ رَاهِقَ الْحُلْمَ فَقَامَ يُصَلِّي»، فَقُلْتُ لِلْعَبَّاسِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ أَخِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَمْ يُتَابِعْهُ عَلَى أَمْرِهِ غَيْرُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَهَذَا الْغُلامُ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ امْرَأَتِهِ، وَهَذَا الْغُلامُ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ عَفِيفُ الْكِنْدِيِّ: «وَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أُسَلِّمُ يَوْمَئِذٍ فَيَكُونُ لِي رُبْعُ الْإِسْلَامِ» (١).

٢- عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها-
قالت: «لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ» (٢).

قال ابن حجر - رحمه الله:

فيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها

(١) مستدرک الحاكم (٤٨٤٢). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ،
وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.
(٢) مسلم (٢٤٦).



فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فسان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك. وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها (١).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنِّي، وَيَشْرَهَا بِنَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ (٢).

٤- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» فَعَرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذَكَّرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ

(١) فتح الباري (١٣٧/٧).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).



قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشَّدَقِينَ، هَلَكْتَ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ
اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ^(١).

قال النووي - رحمه الله:

وَفِي هَذَا كُلُّهُ دَلِيلٌ لِحُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوَدِّ وَرِعَايَةِ
حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي حَيَاتِهِ وَوَفَاتِهِ وَإِكْرَامِ
أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ^(٢).

٥ - عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيْمٌ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا
خَدِيجَةٌ»^(٣).

^(١) صحيح البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٧).

^(٢) شرح مسلم (٢٠٢/١٥).

^(٣) صحيح البخاري (٣٨١٥).



الفائدة الثالثة عشرة

مكاسب رحلة الطائف

لقي رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ كل ألوان الأذى والاضطهاد من طواغيت قريش الذين بذلوا أقصى ما في وسعهم للقضاء على الدعوة الإسلامية الجديدة، وتلك هي سنة الله في خلقه، ولأن رسالة الإسلام عامة لكل الناس كما قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فلم يقتصر النبي ﷺ رغم تعرضه للأذى على دعوة قريش فقط، وإنما بدأ في التحرك للدعوة بمناطق أخرى خارج مكة المكرمة، لمحاولة إيجاد مكان وأرض جديدة تكون صالحة للدعوة الإسلامية الجديدة، فكانت الوجهة إلى الطائف.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ،



فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى
وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ
رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَظَنَرْتُ فَإِذَا
فِيهَا جَبْرِيْلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ
قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ
الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ
فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا
شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ
يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" (١).

لا شك أن اختيار النبي ﷺ للطائف على وجه
التحديد لم يكن اختيارا عبثيا، فكيف ذلك والنبي ﷺ
سياسي بارع وقائد محنك، وكان هذا الاختيار
مسببا من أسبابه :

أولا:

تُعتبر الطائف هي المدينة الثانية في الجزيرة
العربية بعد مكة، ومركزا حيويًا مهمًا من مراكز
الكثافة السكانية والتجارة، ولها مكانة في قلوب
العرب والدليل على ذلك أن المشركين أنفسهم

(١) صحيح البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).



قالوا لولا نزل القرآن على رجلين من مكة أو
الطائف.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ

عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

أَي لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ
الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَي هَلَّا كَانَ أَنْزَالَ هَذَا الْقُرْآنِ عَلَى
رَجُلٍ عَظِيمٍ كَبِيرٍ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ؟ يَعْنُونَ
مكة والطائف ؛ وذلك أنهم قَبَّحَهُمُ اللَّهُ كَانُوا
يَزْدُرُونَ بِالرَّسُولِ ﷺ بَغْيًا وَحَسَدًا، وَعِنَادًا
وَاسْتِكْبَارًا (١).

ثانيا:

القرب المكاني بين مكة والطائف ، والرسول ﷺ
لا يُريد أن يبعد كثيرا عن مركزه الأول، الذي
يعيش فيه الصحابة ﷺ.

ثالثا:

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٩٨)، (٧/٢٠٧).



العداء التاريخي بين قريش والطائف، بسبب محاولات قريش المتكررة في ضم الطائف إلى مكة، حيث كانت تمثل عمقاً استراتيجياً جغرافياً لمكة؛ لذلك حاول الرسول ﷺ أن يستغل هذا الخلاف في التماس تأييد أهل الطائف له ضد قريش .



الفائدة الرابعة عشرة

الإسراء والمعراج دروس وعبر

قَالَ تَعَالَى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿(الإسراء: ١)﴾ .

معجزة الإسراء والمعراج من أجل المعجزات
وأعظم الآيات التي تفضل بها المولى سبحانه على
نبيه محمد ﷺ استنبط العلماء منها دروسا وعبرا
كثيرة منها ما يلي :

أولا: مداومة ذكر الله.

فسورة الإسراء تبدأ بـ " سبحان " فيها التنزيه
والتعظيم والإجلال لله، فالمعجزة كلها بقدر الله
وبقدرة الله عز وجل، فلا بد أن تعيش الأمة ذاكرة
لله يقول تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤)

. (٤٤)



ثانياً: معرفة قدر وشرف العبودية لله .

يقول الله سبحانه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ و لم يقل برسوله أو نبيه أو حبيبه أو خليفه .

الله يريد أن يثبت لنا أن العبودية له هي أسمى المراتب التي يصل إليها الإنسان، فالعبودية لله عزة ما بعدها عزة ، وعطاء ما بعده عطاء .
قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ (الكهف: ٦٥) .

فالعبودية لله شرف، والعبودية للبشرية نقيصة وذلة؛ لأن السيد يريد أن يأخذ خير عبده وأن يجرده من كل حقوقه وماله، ولكن لله سبحانه وتعالى يعطي بغير حساب فكفى بالمرء عزاً أن يكون عبداً وكفى به فخراً أن يكون الله له رباً .

وقد أمر رسول الله ﷺ فقال : " لَا تُظْرُونِي كَمَا أُظْرِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . (١)"

(١) صحيح البخاري (٦٨٣٠) .



ثالثا: أهمية الصلاة ومنزلتها في الإسلام.

وذلك أن الصلاة هي الفريضة الوحيدة التي فرضت ليلة الإسراء والمعراج في السماء السابعة وبدون واسطة، ففي الحديث: "... يَا مُحَمَّدُ، مَاذَا عَهَدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهْدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ: أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَةَ صَلَوَاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرِيدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأَمَّتْكَ أَوْجَعُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جَبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنْ أُمَّتِي ضَعْفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ



وَسَعَدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: خَفَفَ عَنَّا، أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنكَ أَيْضًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُوسَى، قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ: وَاسْتَيْقِظْ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ" (١).

رابعاً : الثبات على الحق والتزام المبدأ .

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيْلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَا شِطَّةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا ". قَالَ: " قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشِي ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمَدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟

(١) صحيح البخاري (٧٥١٧).



قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ. قَالَتْ: أَخْبِرُهُ
بِذَلِكَ قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرْتُهُ فِدَاعَهَا، فَقَالَ: يَا فُلَانَةَ،
وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.
فَأَمَرَ بِبَقْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأَحْمَيْتُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى
هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً.
قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: أَحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي
وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكَ
عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ ". قَالَ: " فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ
يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ
لَهَا مُرْضِعٌ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهُ،
اقتحمي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ،
فَأَقْتَحَمَتْ " (١).

خامسا: رفعة قدر النبي ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَقَدْ
رَأَيْتُنِي فِي الْحَجْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ
فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا.
فَكُرْبْتُ كُرْبَةً مَا كُرْبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي
أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ وَقَدْ
رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ

(١) مسند أحمد (٢٨٢١). إسناده حسن.



يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَعَةَ
وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَائِمٌ يُصَلِّي
أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةَ بِنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ وَإِذَا
إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهَ النَّاسَ بِهِ
صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ
فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكُ
صَاحِبِ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي
بِالسَّلَامِ" (١).

سادسا: مكانة المسجد الأقصى .

للمسجد الأقصى قدسية كبيرة عند المسلمين ارتبطت بعقيدتهم منذ بداية الدعوة، وهو القبلة الأولى التي صلى إليها النبي ﷺ قبل أن يتم تغير القبلة إلى مكة. وقد توثقت علاقة الإسلام بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج حيث أسرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وفيه صلى النبي إماما بالأنبياء ومنه عرج النبي ﷺ إلى السماء.

وذكر النبي ﷺ فضله بين المساجد فبين أن المساجد الثلاثة الوحيدة التي تشد إليها الرحال

(١) صحيح مسلم (٢٧٨).



المسجد الأقصى منها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى" (١).

سابعا: معاني الوفاء والصدقة الحقيقية.

فحينما عاد النبي ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج وقص على قريش ما حدث، انطلق نفرٌ منهم إلى أبي بكر رضي الله عنه يسألونه عن موقفه من الخبر، فقال لهم: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: " لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ فَمَنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَمِعُوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ

(١) صحيح البخاري (١١٨٩)، ومسلم (٥١١).



مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبْرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ،
فَلِدَّلِكَ سَمِيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ " (١).

(١) مستدرک الحاکم (٤٤٠٧). وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.



الفائدة الخامسة عشرة

حماية الفطرة في بيعة العقبة الأولى

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» (١).

ومن هذا الحديث نستنتج بنود هذه البيعة

وهي:

(١) صحيح البخاري (٣٨٦٢). وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن فقال: {بَايِعْنِكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا} [المتحنة: ١٢] الآية، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق، فإذا أقررن بالسننهن قال: قد بايعتكن، وما مسّت يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة (ينظر: السيرة لابن هشام ٥٦/٢).



أولاً: عدم الشرك بالله.

ولاشك أن هذا البند أهم بنود أي بيعة على الإطلاق؛ لأنه محض ما جاء به النبي ﷺ وما أرسل به أن يوحد الناس ربهم وأن لا يشركوا به شيئاً، وهذا هو مفتاح دعوات الرسل جميعاً؛ لما في الشرك من مخاطر ومفاسد عظيمة منها:

أ- الشرك مهانة للإنسانية.

إنه إهانة لكرامة الإنسان، وانحطاط لقدره، ومنزلته، فقد استخلفه الله في الأرض وكرّمه، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وجعل له السيادة على كل ما في هذا الكون، ولكنه جهل قدر نفسه، وجعل بعض عناصر هذا الكون إلهًا معبودًا يخضع له ويذل؛ وأي إهانة للإنسان أكثر من أن يرى -إلى يومنا هذا- منات الملايين من البشر في الهند يعبدون البقر التي خلقها الله للإنسان، لتخدمه وهي صحيحة، ويأكلها وهي ذبيحة، ثم ترى بعض المسلمين يعكفون على قبور الموتى، ويسألونهم حاجتهم، وهم عبيد مثلهم لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فالحسين ﷺ لم يستطع أن يمنع عن نفسه القتل، فكيف يدفع



عن غيره البلاء، ويجلب النفع؟ والأموات يحتاجون إلى دعاء الأحياء، فنحن ندعو لهم، ولا ندعوهم من دون الله، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ❖ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا فَرَّسًا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ نُهِيَ بِهِ الرَّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٢١].

ب - الشرك وكر الخرافات والأباطيل.

لأن الذي يعتقد بوجود مؤثر غير الله في الكون من الكواكب أو الجن أو الأشباح أو الأرواح، يصبح عقله مستعداً لكل خرافة، وتصديق كل دجال، وبهذا يروج في المجتمع المشرك بضاعة الكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين وأشباههم ممن يدعون علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، كما يشيع في مثل هذا المجتمع إهمال الأسباب والسنن الكونية.



ت - الشرك ظلم عظيم.

الشرك ظلم للحقيقة، لأن أعظم الحقائق أن لا إله إلا الله، ولا ربَّ غيره، ولا حَكَمَ سواه، ولكن المشرك اتخذ غير الله إلهًا، وابتغى غيره حَكَمًا، والشرك ظلم للنفس، لأن المشرك جعل نفسه عبدًا لخلق مثله، أو دونه، وقد خلقه الله حرًا، والشرك ظلم للغير، لأن من أشرك بالله غيره فقد ظلمه حيث أعطاه من الحق ما ليس له.

ث - الشرك مصدر المخاوف والأوهام.

فإن الذي يقبل عقله الخرافات، ويصدق الأباطيل يصبح خائفًا من جهات شتى، لأنه اعتمد على عدة آلهة، وكلها عاجزة عن جلب النفع، ودفع الضر عن نفسها، ولهذا ينتشر في جو الشرك التشاؤم والرعب من غير سبب ظاهر، كما قال ﷺ: ﴿سُنِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَنَسُوا مَوَئِذِي الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

ج - الشرك يعطل العمل النافع.



لأنه يُعَلِّمُ أتباعه الاعتماد على الوسطاء والشفعاء،
 فيتركون العمل الصالح، ويرتكبون الذنوب،
 معتقدين أن هؤلاء سيشفعون لهم عند الله، وهذا
 اعتقاد العرب قبل الإسلام الذين قال الله ﷻ فيهم:
 ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
 شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَّا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

د- الشرك سبب الخلود في النار.

والشرك سبب للضياع في الدنيا والعذاب المؤبد
 في الآخرة، قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ مِنُ شُرِكِ اللَّهِ فَفَدَّرَ حَرَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ
 الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].
 وقال ﷻ: "من مات وهو يدعو من دون الله نداءً
 دخل النار" (١).

(١) صحيح البخاري (٤٤٩٧).



هـ - الشرك سبب فرقة الأمة (١).

قال ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❀ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِعْمًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

ثانياً: عدم لسرقة.

وهذا البند جاء لحماية أموال الناس ، وحماية المال من الكليات الخمس أو الضروريات الخمس، فارتكاب السرقة يعد كبيرة من الكبائر توجب القطع كما قال ﷺ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٨).

ثالثاً: عدم الزنا.

حماية للأعراض واختلاط الأنساب، فقد كان الزنا والبعاء منتشرًا في العرب قبل البعثة انتشارًا كبيرًا إلى أن جاء الإسلام يحرم الزنا ويجرمه ويرتب

(١) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : محمد بن جميل زينو (٢٠٢/١).



عليه من الوعيد الذي يردع عن إتيانه.

فالزنا جريمة منكرة، وكبيرة مهلكة، وعدوان على الشرف والعرض وهتك للستر، وقتل للعفاف والحشمة والفضيلة، ونشر للرذيلة، فلا يميل إليه ولا يرضى به إلا كل فاسد وفاسدة وفاجر وفاجرة، لذا نهى الإسلام عنه ونبه النبي ﷺ أن الزنا من الأخلاق التي ترفضه النفوس الحرة، وأن البعثة لجاأت لتتم الأخلاق. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ " (١).

قال ابن عبد البر - رحمه الله:

"لأتمم صالح الأخلاق" ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه (٢).

رابعاً: ولا تقتلوا أولادكم.

بايع النبي ﷺ على عدم قتل الولد في هذه البيعة

(١) مسند أحمد (١٩٥٢). قال الشيخ شعيب: صحيح.

(٢) التمهيد (٣٣٢/٢٤).



كما جاء الأمر في كتاب ربنا سبحانه وتعالى :
﴿وَأَتَقَتُّلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

قال معمر - رحمه الله :

كَانُوا يَقْتُلُونَ الْبَنَاتِ خَشْيَةَ الْفَاقَةِ (١).

قال الشافعي - رحمه الله :

كان بعض العرب تقتل الإناث من ولدها صغراً
خوف العيلة عليهم، والعار بهم (٢).

كما ثبت ذلك أيضا في قوله ﷺ للنساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ
وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٩٣) (١٥٦١).

(٢) تفسير الإمام الشافعي (٢/٨٤١).



غفورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٢﴾ [المتحنة: ١٦٢].

قال ابن عاشور - رحمه الله :

وَالْمُرَادُ بِقَتْلِ الْأَوْلَادِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا الْوَأْدُ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ بِبَنَاتِهِمْ ، وَثَانِيهِمَا إِسْقَاطُ الْأَجْنَةِ وَهُوَ الْأَجْهَاضُ، وَأَسْنَدُ الْقَتْلِ إِلَى النِّسَاءِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ يَفْعَلُهُ الرِّجَالُ لِأَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَرْضَيْنَ بِهِ أَوْ يَسْكُنْنَ عَلَيْهِ (١).

**خامسا: وَلَا يَأْتُوا بِبُهْتَانٍ يَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلِهِمْ.**

قال الخطابي - رحمه الله:

والبهتان: مصدر. يقال: بهت الرجل صاحبه بهتاً وبهتاناً، وهو أن يكذب عليه الكذب الذي يبتهت من شدة نكره، ويتحر فيه، فيبقى مبهوتا منقطعاً ومعناه هاهنا قذف المحصنات والمحصنين، وهو من جملة الكبائر التي قرنه بذكرها، وقد يدخل في ذلك الكذب على الناس، والاعتياب لهم ورميهم

(١) التحرير والتنوير (١٦٦/٢٨).



بالعضاية والعظام وكل ما يلحق بهم العار
والفضيحة^(١).

قال ابن عاشور - رحمه الله :

البُهْتَانُ : الْخَبْرُ الْمَكْذُوبُ الَّذِي لَا شُبْهَةَ لِكَاذِبِهِ فِيهِ
لِأَنَّهُ يَبْهَتُ مَنْ يَنْقُلُ عَنْهُ. وَالْإِفْتِرَاءُ: اخْتِلَاقُ
الْكَذِبِ، أَيْ لَا يَخْتَلِفَنَّ أَخْبَارًا بِأَشْيَاءَ لَمْ تَقَعْ.

وَحَقِيقَةُ بَيْنِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ: أَنْ يَكُونَ الْكَذِبُ
حَاصِلًا فِي مَكَانٍ يَتَوَسَّطُ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ فَإِنْ كَانَ
الْبُهْتَانُ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ الْخَبْرُ الْكَاذِبُ كَانَ
إِفْتِرَاؤُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ أَنَّهُ كَذَبَ مُوَاجَهَةً فِي
وَجْهِ الْمَكْذُوبِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهَا: يَا فُلَانَةَ زَنَيْتِ مَعَ
فُلَانٍ، أَوْ سَرَقْتِ حَلِيَّ فُلَانَةٍ. لِتَبْهَتَهَا فِي مَلَأٍ مِنَ
النَّاسِ، أَوْ أَنْتِ بِنْتُ زَنَا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ الْبُهْتَانُ بِمَعْنَى الْمَكْذُوبِ كَانَ مَعْنَى
إِفْتِرَائِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ كِنَايَةً عَنِ ادِّعَاءِ
الْحَمْلِ بِأَنْ تَشْرَبَ مَا يَنْفُخُ بَطْنَهَا فَتَوْهَمَ زَوْجَهَا
أَنَّهَا حَامِلٌ ثُمَّ تُظْهِرَ الطَّلُقَ وَتَأْتِيَ بِوَلَدٍ تَلْتَقِطُهُ
وَتَتَسَبَّهُ إِلَى زَوْجِهَا لِنَلِّا يُطَلِّقُهَا، أَوْ لِنَلِّا يَرِثُهُ

(١) شرح صحيح البخاري : الخطابي (١٥١/١).



عُصْبَتُهُ، فَهِيَ تُعْظَمُ بَطْنَهَا وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهَا، ثُمَّ إِذَا وَصَلَ إِبْنَانِ إِظْهَارِ الطَّلُقِ وَضَعَتِ الطِّفْلَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا وَتَحَدَّثَتْ وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَهُوَ مَبْهُوتٌ عَلَيْهِ. فَالْإِفْتِرَاءُ هُوَ ادِّعَاؤُهَا ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى الْبُهْتَانِ، وَإِنْ كَانَ الْبُهْتَانُ مُسْتَعَارًا لِلْبَاطِلِ الشَّبِيهِ بِالْخَبَرِ الْبُهْتَانِ، كَانَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ مُحْتَمَلًا لِلْكِنَايَةِ عَنِ تَمَكِّيْنِ الْمَرَأَةِ نَفْسَهَا مِنْ غَيْرِ رُوجِهَا يَقْبَلُهَا أَوْ يَحْبِسُهَا، فَذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهَا أَوْ يَزْنِي بِهَا، وَذَلِكَ بَيْنَ أَرْجُلِهَا^(١).

قال الزجاج - رحمه الله :

أي لا يأتين بولدٍ ينسبونه إلى الزوج، فإن ذلك بهتان وفرية^(٢).

سادسا: ولا تعصوني في معروف.

قال النووي - رحمه الله .

يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَلَا تَعْصُونِي وَلَا أَحَدَ مِنْ أَوْلِي الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ فِي الْمَعْرُوفِ فَيَكُونُ التَّقْيِيدُ بِـ

^(١) التحرير والتنوير (١٦٧/٢٨).

^(٢) معاني القرآن وإعرابه (١٦٠/٥).



الْمَعْرُوفِ مُتَعَلِّقًا بِشَيْءٍ بَعْدَهُ وَقَالَ غَيْرُهُ نَبَّهَ بِذَلِكَ
عَلَى أَنْ طَاعَةَ الْمَخْلُوقِ إِنَّمَا تَجِبُ فِيمَا كَانَ غَيْرَ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهِيَ جَدِيرَةٌ بِالتَّوْقِي فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ
(١).

^١ فتح الباري : ابن حجر (٦٥/١)، و فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي (٧/٧)، و الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: صهيب عبد الجبار (٣٦٤/١٤).



الفائدة السادسة عشرة

التربية في بيعة العقبة الثانية

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَةَ سِنِينَ، يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنَى، يَقُولُ: " مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ " حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخْرَجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ - كَذَا قَالَ - فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذِرْ غَلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَأَوْيَانَاهُ، وَصَدَقْنَاهُ، فَيُخْرَجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيَسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ انْتَمَرُوا جَمِيعًا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَّ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوَاسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعُقْبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ، قَالَ: "



تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ،
وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي
اللَّهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَعَلَى أَنْ
تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ
مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ^(١).

فيظهر جلياً أن بنود هذه البيعة كلها تربية لأمة
النبي ﷺ ومن هذه البنود :

أولاً: السمع والطاعة في المنشط والكسل.

بداية بنود هذه البيعة لم تكن بنوداً مستقلة
ومنفصلة كلياً عن بنود البيعة الأولى، فترى أن
النبي ﷺ أنهى البنود في البيعة الأولى بعدم
العصيان في المعروف بصفة عامة، وبدأ هذه
بالسمع والطاعة وأضاف عليها قيوداً، وهذا إن
دل إنما يدل على أن الغاية واحدة والهدف واحد
وإن تعددت المواثيق والعهود.

^(١) مسند أحمد (١٤٤٥٦). قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على
شروط مسلم، ومستدرک الحاكم (٤٢٥١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ
الْإِسْنَادِ.



فهذا البند تفريع لما أصل له النبي ﷺ في البيعة الأولى، وفي ذلك دلالة على أن الثبات على التوحيد والحق سيحتاج إلى صبر والتزام بأوامر الله ﷻ، وأوامر نبيه ﷺ، وهذا الالتزام لن يكون في ساعة المنشط فقط بل سيكون في حال الكسل وقلة النشاط.

وهذا الالتزام أصل في نجاح أي عمل وعلى وجه الخصوص العمل الدعوي، وبغير السمع والطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ، تذهب الريح، وتفتر القوة، ويضيع العمل، ويأتي الشقاء والفشل، قال ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦) .

ثانياً: النفقة في العسر واليسر.

وهذا نوع آخر من أنواع الجهاد التي بايع النبي ﷺ الصحابة ﷺ وهو البذل بالمال لبناء القوة التي تحمي الحق وتبذل في نشر الدين، وبناء الدولة قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ



وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ (الحجرات: ١٥).

فالمبايعة على النفقة في سبيل الله حتى في حالات العسر أمرٌ لن يقوى على قبوله إلا أقوياء الإيمان حقاً.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه مسألة شاقّة للغاية ؛ فالغالب من الناس يحبُّ أن يعيش في وئام مع غيره، دون أن يُنْعَصَ عليه حياته بالتوجيه والإرشاد؛ لأن كثرة لفت النظر إلى الأخطاء والمنكرات تدفع معظم الناس تلقائياً إلى تجنُّب التعامل مع الأمر بالمعروف، أو الناهي عن المنكر؛ ولذلك يختلق الناس عادة الأعذار كي يمتنعوا من القيام بهذه الفضيلة، كما أن الذي يتجرأ على أمر الناس بالمعروف، أو نهيمهم عن المنكر، يفتح المجال لكي يفعل معه الناس الشيء نفسه، وهذا قد لا يحبُّه عامّة الناس؛ ولذلك تجد أن غالب البشر لا يلتفتون إلى ما يفعله الناس، بل يعيشون حياتهم بمعزل عن مشاكل غيرهم وأخطائهم. أمّا الآن في هذه البيعة



الصعبة يشترط رسول الله ﷺ على الأنصار أن يُبايعوه على عدم التخلي عن هذه الفضيلة الصعبة في كل مراحل حياتهم، مهما تعرضوا بسببها لخلافات مع غيرهم (١).

رابعاً: قول الحق.

وهو نوع آخر من الجهاد وهو أن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وهو من صفات الذين يحبهم الله ﷻ ورسوله ﷺ قال ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(المائدة: ٥٤).

^١ مقال بنود بيعة العقبة الثانية للدكتور راغب منشور على الشبكة العنكبوتية.



فأصحابه مقبلون على نشر دين جديد لم يعرفه الناس من قبل، ومقبلون على تعريف الناس برسول لم يسموا عنه من قبل، وسيلقون ويسمعون أصواتا تصدهم عن طريق الحق، أصواتا لها سطوة ونفوذ وقد ينالهم من آذاهم الكثير؛ لذا بايعهم النبي ﷺ على قول الحق مهما كلفهم ذلك. فلا عجب أن ساد أصحاب رسول الله ﷺ الدنيا وقادوها بعد وفاته ﷺ، فكلما حافظ الناس على قول الحق أبقى الله ﷻ أثرهم.

خامساً : النصره.

وهذا هو الجهاد في سبيل الله ﷻ بالنفس ، وهو من أصعب الأمور في تكاليف الإيمان، وقد جعله رسول الله ﷺ أعلى ما في الإسلام، فقال ﷺ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الجِهَادُ»^(١).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ذُنَيْبِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادُ؟ قَالَ:

(١) مسند أحمد (٢٢٠١٦)، وسنن الترمذي (٢٦١٦). قال الترمذي : حسن صحيح.



«لَا أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَقُومَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟»، قَالَ: «وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيْسَتْ فِي طَوْلِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ» (١).

طلب منهم رسول الله ﷺ البيعة على شيء لا مثيل له أو عدل في الإسلام؛ بل إن صياغة الطلب تُعطيه صعوبة أكثر، حيث يطلب منهم الجهاد بـ «الهِمَّة» نفسها التي يُدافعون بها في المعتاد عن أنفسهم وزوجاتهم وأولادهم، وهي هِمَّة فطرية لا تَرُدُّ فيها، فهكذا ينبغي أن تكون رُوحهم وعزيمتهم عند طلب الجهاد منهم.

(١) صحيح البخاري (٢٧٨٥).



الفائدة السابعة عشرة

مخاوف قريش من هجرة النبي ﷺ

لما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا وخرجوا، وحملوا وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج، وقعت فيهم ضجة أثارت القلاقل والأحزان، وأخذ القلق يساورهم بشكل لم يسبق له مثيل، فقد تجسد أمامهم الخطر الحقيقي العظيم، الذي يهدد كياناتهم الوثني والاقتصادي، ومن هذه المخاوف ما يلي :

أولاً:

فقد كانوا يعلمون ما في شخصية محمد ﷺ من غاية قوة التأثير مع كمال القيادة والإرشاد، ولسنا بحاجة لبيان ذلك مع كثرة الأمثلة لكثرة نعوته الطيبة ﷺ.

ثانياً :

ما في أصحابه ﷺ من العزيمة والاستقامة والفداء في سبيله، والواقع خير دليل على ذلك أمام أعينهم، فقد عاينوا بأنفسهم تمسك أصحاب



النبي ﷺ بالتوحيد، وأبصروا التضحية بالنفس في سبيل ذلك ، ومن ذلك قتل خباب ؓ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: " بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَاَنْطَلَقُوا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ نَزُولًا، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصَّوْا آثَارَهُمْ، حَتَّى نَزَلُوا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ، تَزَوَّدُوهُ مِنْ تَمْرِ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا مِنْ تَمْرِ يَثْرِبَ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُّوهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّهُمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ لَجَنُوا إِلَى فِدْقِدٍ، وَقَدْ جَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، وَقَالُوا: لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ: أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلَ فِي نِمَّةٍ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا رَسُولَكَ. قَالَ: فَقَاتَلُوهُمْ، فَرَمَوْهُمْ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ، وَبَقِيَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدِّثْنَةِ وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ إِنْ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الْعَدْرِ. فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَجَرَّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَّبِعَهُمْ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَاَنْطَلَقُوا بِخُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ



الدَّيْثَةَ، حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو
 الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ الْحَارِثَ
 يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا
 قَتَلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ إِحْدَى بَنَاتِ الْحَارِثِ
 لِيَسْتَحِدَّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيِّ لِي،
 فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى
 فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَرَعْتُ فَرَعًا عَرَفَهُ، وَالْمُوسَى
 فِي يَدِهِ، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا خَيْرًا
 مِنْ خُبَيْبٍ قَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ، وَمَا بِمَكَّةَ
 يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا
 رِزْقًا رَزَقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ: ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ
 لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ. فَصَلَّى
 رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَرَوْا مَا بِي جَزَعًا مِنَ
 الْمَوْتِ لَزِدْتُمْ. قَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرُّكَعَتَيْنِ
 عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا:

وَكَسْتُ أَبَايَ حِينَ أَقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَبِي شِقِّكَ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأُ ... يَبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوِ مَمْرَعٍ



ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قَرِيشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤَنِّتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْزِفُونَهُ، وَكَانَ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظْمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظِّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَّتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ (١).

وعن هشام بن عروة بن الزبير قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب، وهو يقول: أحد، أحد، فيقول: أحد أحد الله يا بلال، ثم يقبل ورقة على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك ببلال من بني جمح، فيقول: أحلف بالله إن قتلتُموه على هذا لاتخذته حنانا، حتى مر به أبو بكر الصديق بن أبي قحافة يوما، وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية: ألا تنقي الله في هذا المسكين، حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، قال أبو بكر: أفعَل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو لك.

(١) صحيح البخاري (٧٤٠٢) مختصرا، و مسند أحمد (٨٠٩٦)، وصحيح ابن حبان (٧٠٣٩).



فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ ذَلِكَ، وَأَخَذَ بِرَأْسِهِ
فَأَعْتَقَهُ...." (١).

وغير ذلك مما أكد أن أصحاب النبي ﷺ لن
يدعوه وحده ولن يتخلفوا عنه ولن يتركوا دينه
أبداً.

ثالثاً:

ما في قبائل الأوس والخزرج من قوة ومنعة، وما
في عقلاء هاتين القبيلتين من عواطف السلم
والصلاح، والتداعي إلى نبذ الأحقاد فيما بينهما،
بعد أن ذاقوا مرارة الحروب الأهلية طيلة أعوام
من الدهر.

رابعاً:

الموقع الاستراتيجي للمدينة بالنسبة إلى
المحجة التجارية التي تمر بساحل البحر الأحمر
من اليمن إلى الشام. وقد كان أهل مكة يتاجرون
إلى الشام بقدر ربع مليون دينار ذهب سنوياً،
سوى ما كان لأهل الطائف وغيرها، ومعلوم أن

(١) فضائل الصحابة: الإمام أحمد (١/١١٨) (٨٩).



مدار هذه التجارة كان على استقرار الأمن في تلك الطريق. فلا يخفي ما كان لقريش من الخطر البالغ في تمركز الدعوة الإسلامية في يثرب، ومجابهة أهلها ضدهم.



الفائدة الثامنة عشرة

أسباب الهجرة إلى المدينة

الهجرة على المدينة لم تكن مجرد انتقال بدني من مكان لمكان آخر ، ولا هي رحلة ترفيحية سوف يخرج بها النبي ﷺ وأصحابه ﷺ بل كان للهجرة دوافع وأسباب من هذه الأسباب :

أولاً: عدم تقبل مكة للإسلام .

كان النبي ﷺ حريصاً أشدَّ الحرص على هداية قومه ودخولهم دين التوحيد، فاستعمل معهم كلَّ أساليب الرِّفق في الدَّعوة إلى الله ﷻ بشئى صُورِها، وبالْحكمة والموعظة الحسنة، وأكبر دليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

ولكنَّ قريشاً أبَتْ إلاَّ أن تُحاربِ الله ﷻ ورسوله ﷺ، ووجدت هذه النعمة التي أهدقها الله ﷻ عليهم .



قال الله ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢).

قال ابن كثير - رحمه الله (١):

هَذَا مَثَلٌ أُرِيدَ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً مُسْتَقِرَّةً يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا، وَمَنْ دَخَلَهَا كَانَ آمِنًا لَا يَخَافُ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالُوا إِنْ تَبِعَ الْهُدَى مَعَكَ تَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧].

وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا أَيَّ هَنِئًا سَهْلًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ أَيَّ جَحَدَتْ آيَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا وَأَعْظَمَهَا بَعْثَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٢٢).



كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿[إِبْرَاهِيمَ: ٢٨-٢٩].

فَبَحَثَ النَّبِيُّ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ يَكُونُ أَكْثَرَ اسْتِعْدَادًا
لِقَبُولِ دَعْوَتِهِ، فَكَانَ هَذَا الْمَكَانَ هُوَ الْمَدِينَةُ.

ثانياً : استعداد المدينة المنورة لقبول دعوته ﷺ.

وهذا يظهر جلياً في بيعتي العقبة التي تقدم
ذكرهما وتقدم بيان بنودهما ،وعليه كانت المدينة
أرضاً خصبة للدعوة والدولة الإسلامية بما فيها
من عناصر الدولة الثلاثة: "الشَّعب، السُّلطة،
الدَّولة".

ثالثاً: تعرُّض النبي ﷺ لاصنوف من الإيذاء.

لقد تعرَّض النبي ﷺ للابتلاء الشَّدِيدَ وَالْمِحْنَ
العَصِيبَةَ؛ فَقَدْ آذَاهُ قَوْمُهُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْإِيذَاءِ،
وَاسْتَخْدَمُوا مَعَهُ كُلَّ مَا اسْتَطَاعُوا لِإِخْمَادِ نَوْرِ
وَحْيِهِ، وَالْقَضَاءِ عَلَى دَعْوَتِهِ فِي مَهْدِهَا، قَالُوا
عنه: "ساحر وشاعر ومجنون"، ومنه: لَمَّا نَزَلَتْ:
﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ -



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الصَّافَا، فَجَعَلَ يُنَادِي:
 ((يا بني فِهْر، يا بني عَدِي)) - لِبَطُونِ فُرَيْشٍ -
 حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ
 أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ
 وَقَرِيشٌ، فَقَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا
 بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟))،
 قَالُوا: نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدَقًا، قَالَ: ((فَإِنِّي

نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ))، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ

سَائِرِ الْيَوْمِ، أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ

وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢] (١).

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: "سَأَلْتُ ابْنَ
 عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه أَخْبَرَنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ
 الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فِي
 حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ
 ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ

(١) صحيح البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٣٥٥).



حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ قال:

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [خاف: ٢٨] (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جرور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش». ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعنبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» - وعد السابغ فلم يحفظ - قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ

(١) صحيح صحيح البخاري (٣٨٥٦).



صَرَغَى، فِي الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرِ^(١).

رابعاً: تعذيب أصحاب النبي ﷺ

عاش المسلمون المؤمنون الفترة التي قضوها في مكة مُعَذِّبِينَ مُضْطَهَدِينَ، والكافرون لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمّة، وليس لهم من ظهْرٍ يَحْمِيهِمْ، ولا جَيْشٍ يُدَافِعُ عَنْهُمْ، ولا مَنْ يَدْبُ عَنْ بِيضَتِهِمْ، فكان لا بُدَّ من خِلاصٍ لهذا الاضطهاد المستمر، وهذا النكال المُفْطَع، فكانت الهجرة إلى المدينة لإقامة المَجْتَمَعِ الآمِنِ لهؤلاء المؤمنين تُمَثِّلُ لَهُمْ ضَرُورَةً مُلْحَةً حَتَّى يَعْبُدُوا رَبَّهُمْ فِي مَأْمِنٍ مِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ، وقد ضربنا بعض الأمثلة على هذا التعذيب سابقاً فلنراجع.

خامساً: الهجرة من سنن الأنبياء ﷺ

لقد أطلع الله نبيه ﷺ على بعض هجرات الأنبياء من قبل؛ لأنَّ الهجرة مَطْلَبٌ دَعَوِي تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَنَشْرُ الدَّعْوَةِ، وربما هذا الأمر هو الذي حَمَلَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْهَجْرَةِ، فلم يكن النبي ﷺ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ مِنْ وَطَنِهِ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ

^(١) صحيح البخاري (٢٤٠).



الإسلامية، وإيجاداً لبيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها، بل تدود عنها، فإن بعض الأنبياء قد هاجروا من أوطانهم لينشر كل منهم دعوته.

فهذا نوح عليه السلام قال عنه الله ﷻ: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أُمَّرًا وَقَارَ التَّنُورِ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

وجاء الأمر الرباني: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْعُهُمْ ثُمَّ يُمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

وهذا إبراهيم عليه السلام كانت دعوته أصلاً بأرض العراق، إلا أنه كانت له هجرات إلى الشام ومصر وأرض الحجاز؛ قال ﷻ حاكياً عن هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الشام بعد نجاته من محاولة تحريقه بالنار: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ﴿ قُلْنَا يَا



نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٨﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
 الْأَخْسَرِينَ ﴿٦٩﴾ وَبَجَيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾
 [الأنبياء: ٦٨ - ٧١].

وهذا موسى عليه السلام كانت له كذلك هجرات قبل
 بعثته وبعدها، فقد هاجر قبل بعثته عندما قتل
 القبطي خطئا؛ فخرج منها خائفا يترقب، وهاجر
 بعد بعثته بعد أن كذبه فرعون وقومه؛ فأمره ربُّه
 ﷺ بالهجرة قائلا له: ﴿ أَنْ أُسْرِبَ بَادِي فَأَضْرِبُ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ
 ﴿٧٩﴾ [طه: ٧٧ - ٧٩].

سادسا: وجوب الهجرة على المؤمنين.

من أهم أسباب الهجرة أنها واجبة ، فتجد في كتاب
 الله ﷻ أن الهجرة أصبحت واجبة على كل من آمن
 برسول الله ﷺ ولم يستثنى منهم إلا النساء



والصغار والشيوخ قال الله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لِمَا يَسْتُطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ (النساء: ٩٧-١٠٠).

عن ابن عباس ؓ أنه قال: "إن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم فيرمى، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضربه فيقتله،



فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[النساء: ٩٧] (١).

(١) صحيح البخاري (٧٠٨٥).



الفائدة التاسعة عشرة

حكمة اختيار المدينة دارا للهجرة

قال ابو الحسن الندوي - رحمه الله.

وكان من حكمة الله تعالى في اختيار المدينة دارا للهجرة، ومركزا للدعوة، عدا ما أراده الله من إكرام أهلها، وأسرار لا يعلمها إلا الله ما يلي:

أولاً :

أنها امتازت بتحصن طبيعي حربي، لا تزامها في ذلك مدينة قريبة في الجزيرة، فكانت حرة الوبرة مطبقة على المدينة من الناحية الغربية، وحررة واقم مطبقة على المدينة من الناحية الشرقية، وكانت المنطقة الشمالية من المدينة، هي الناحية الوحيدة المكشوفة (وهي التي حصنها رسول الله ﷺ بالخذق سنة خمس في غزوة الأحزاب) وكانت الجهات الأخرى من أطراف المدينة محاطة بأشجار النخيل والزروع الكثيفة، لا يمر منها الجيش إلا في طرق ضيقة لا يتفق فيها النظام العسكري، وترتيب الصفوف.



ولعلّ النبي ﷺ قد أشار إلى هذه الحكمة الإلهية في اختيار المدينة بقوله لأصحابه قبل الهجرة: «إني رأيت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين». وهما الحرثان، فهاجر من هاجر قبل المدينة.

ثانياً :

كان أهل المدينة من الأوس والخزرج أصحاب نخوة وإباء وفروسية وقوة شكيمة، ألفوا الحرية، ولم يخضعوا لأحد، ولم يدفعوا إلى قبيلة أو حكومة، إتاوة أو جباية، وقد جاء ذلك صريحاً في الكلمة التي قالها سعد بن معاذ سيّد الأوس ﷺ لرسول الله ﷺ: «قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً»^(١).

وجاء في العقد الفريد :

ومن الأزد الأنصار، وهم الأوس والخزرج وهما ابنا حارثة بن عمرو بن عامر، وهم أعزّ الناس

(١) السيرة النبوية: ابن هشام(٢/٢٢٣).



أنفسا، وأشرفهم همما، ولم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد الملوك^(١).

ثالثاً:

كان بنو عديّ بن النّجار أخواله دنيا ، فأّم عبد المطلب بن هاشم إحدى نساءهم، فقد تزوّج هاشم بسلمى بنت عمرو أحد بني عديّ بن النّجار، وولدت لهاشم عبد المطلب، وتركه هاشم عندها، حتّى صار غلاما دون المراهقة، فذهب إليه عمّه المطلب، فجاء به إلى مكة، وكانت الأرحام يحسب لها حساب كبير في حياة العرب الاجتماعيّة، ومنهم أبو أيوب الأنصاريّ الذي نزل رسول الله ﷺ في داره في المدينة.

رابعاً:

كان الأوس والخزرج من قحطان، والمهاجرون، ومن سبق إلى الإسلام في مكة وما حولها من عدنان، ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقام الأنصار بنصره، اجتمعت بذلك عدنان وقحطان تحت لواء الإسلام، وكانوا كجسد واحد، وكانت

(١) العقد الفريد : ابن عبدربه الأندلسي ٢٨٨/٣.



بينهما مفاضلة ومسابقة في الجاهلية، وبذلك لم يجد الشيطان سبيلا إلى قلوبهم، لإثارة الفتنة والتعزّي بعزاء الجاهلية باسم الحميّة القحطانيّة أو العدنانية.

قال الشيخ محمد يعقوب - حفظه الله.

كان من الحكمة في اختيار المدينة والبقاء بها أن الأشياء إنما تتشرف بالنبي وليس هو الذي يتشرف بها. فلو بقي النبي ﷺ في مكة طيلة حياته لتوهم الناس أنه قد تشرف بها، وهي التي شرفها الله ﷻ ببيته وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فأراد الله ﷻ أن يظهر شرف نبيه ﷺ فأمره بالهجرة إلى المدينة التي لم يكن لها ذكرا في التاريخ قبل الهجرة، فأصبحت حرما آمنا وصارت دار الإسلام التي انطلقت منها وفود الإيمان على أرجاء الأرض^(١).

(١) مدرسة السيرة النبوية (٣٨٠/١).



الفائدة العشرون

ثمار الهجرة

لقد بدت نتائج الهجرة النبوية إلى المدينة واضحة جلية للمسلمين، ولا شك في إتيانها لثمارها وهي التحرك المأمور به من الله ﷺ، فما أمر به الله هو الخير المحض وإن لم تدرك العقول ذلك ، ومن ثمار الهجرة ما يلي:

أولاً: نجاة الرسول ﷺ وأصحابه من أذى قريش الذي ازداد حتى وصل إلى محاولة قتله ، وكذلك الفرار من مواطن الفتن.

ثانياً: الإخاء الصادق بين الأنصار والمهاجرين .

لقد آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين - من مهاجرين وأنصار- وتقاسموا الأموال والديار، وقدم أصحاب الأموال أموالهم لإخوانهم؛ ابتغاء مرضاة الله ﷻ وثوابه، وبناء على أمر الرسول ﷺ تأخوا أخوين أخوين ، ولقد وصف الله هذا التكافل بقوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ



هَاجِرِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُفْسِهِ فَوَلَّكَ هُمْ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿ (الحشر: ٩) .

ولقد روى البخاري في صحيحه ، بإسناده إلى إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: " لَمَّا قَدِمُوا المدينة آخَى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها تزوجتها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين السوق؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن" (١) .

ثالثاً: ميثاق التحالف الإسلامي.

وكما قام رسول الله ﷺ بعقد المواخاة بين المؤمنين، قام بعقد معاهدة أزاح بها كل ما كان

(١) صحيح البخاري (٣٧٨٠).



من حزازات الجاهلية، والنزعات القبلية، ولم يترك
مجالا لتقاليد الجاهلية، وهاك بنودها ملخصا:

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين
والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق
بهم، وجاهد معهم:

- ١- أنهم أمة واحدة من دون الناس.
- ٢- المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون
بينهم، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين
المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم
يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي
عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٣- وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن
يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.
- ٤- وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو
ابتغى عطية ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين
المؤمنين.
- ٥- وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.
- ٦- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر.
- ٧- ولا ينصر كافرا على مؤمن.



- ٨- وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أديانهم.
- ٩- وأن من تبغنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.
- ١٠- وأن سلم المؤمنين واحدة، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
- ١١- وأن المؤمنين يمنع ويكف بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.
- ١٢- وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.
- ١٣- وأنه من قتل مؤمنا بلا جناية قتلًا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول.
- ١٤- وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.
- ١٥- وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.



١٦- وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد ﷺ^(١).

رابعاً: بناء المسجد النبوي .

وهو أول خطوة خطاها رسول الله ﷺ هو إقامة المسجد النبوي في المكان الذي بركت فيه ناقته أمر ببناء هذا المسجد، واشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وساهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة . . . فاغفر للأَنْصار والمهاجرة

وكان يقول:

هذا الحمال لأحمال خير . . . هذا أبر بنا وأطهر

وكان ذلك مما يزيد نشاط الصحابة في البناء حتى إن أحدهم ليقول:

لئن قعدنا والنبي يعمل . . . لذاك منا العمل المضلل^(١) .

^(١) الرحيق المختوم : المبار كفوري (١٦٨-١٦٩)، السيرة : ابن هشام (١٠٧/٢).



فبناء المسجد تم ليكون مقراً للعبادة ومدرسة
 بل جامعة للتفقه في الدين ولتخريج علماء
 ربانيين صالحين يصلحون دعوة الله إلى
 الناس بكل نزاهة وعفة عن أطماع الدنيا الفانية ؛
 لأن حياتهم كانت وفقاً على الله ﷻ عملاً بقول الله:
 ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ
 لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢) .

خامساً: انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى.

وهي أول غزوة خاضها المسلمون مع المشركين
 أكسبتهم هيبة وقوة وعزاً، فكانت الفارق بين
 الحق والباطل، وبتوالي الغزوات والانتصارات
 والتمكين للمسلمين حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(^١) زاد المعاد ك ابن القيم(٥٦/٣)، و الرحيق المختوم(١٦٦).



الفائدة الحادية والعشرون

فضل المدينة المنورة

كما أسلفنا في بيان حكمة اختيار المدينة داراً للهجرة أن هذه المدينة المباركة قد شرفها الله وفضلها وجعلها خير البقاع بعد مكة ومن فضائلها ما يلي :

أولاً: أن الله جعلها حراماً.

عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ" (١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ، فَقَالَ: "هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَأَنَا أُحَرِّمُ مَا

(١) صحيح مسلم (٤٧٥).



بَيْنَ لَابَنَيْهَا" (١).

ثانياً: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهَا طَيْبَةً وَطَابَةً.

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ".... هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ يَعْنِي الْمَدِينَةَ" (٢).

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ: أَفْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ "

والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيب وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل من طيب العيش بها، قال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من

(١) صحيح البخاري (١٨٥٤).

(٢) صحيح مسلم (١١٩).

(٣) صحيح البخاري (٤٤٢٢).



تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها" (١).

ثالثاً: أن الإيمان ينضم إليها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها" (٢).

رابعاً: وصفها بأنها قرية تأكل القرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد" (٣).

(١) فتح الباري (٤/٨٩)، وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري: محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الشنقيطي (٤١٧/١٢).

(٢) صحيح البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (٢٣٣).

(٣) صحيح البخاري (١٨٧١)، ومسلم (٤٨٨). والمراد بـ"تأكل القرى" أي: ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى



خامساً: الدعاء لها بالبركة.

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَاتِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ الْمَدِينَةِ شَعْبٌ وَلَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدُمُوا إِلَيْهَا" (١).

سادساً: أنه لا يدخلها الطاعون ولا الدجال.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَالُ" (٢).

سابعاً: أن المدينة تنفي خبثها.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعَكٌ

القرية والمراد: (ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير ٣٢٠/٩).

(١) صحيح مسلم (٤٧٥).

(٢) صحيح البخاري (١٨٨٠).



بِالْمَدِينَةِ، فَاتَى الْأَعْرَابِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِنِّي بَيْعَتِي، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِنِّي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِنِّي بَيْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيْبَهَا" (١).

ثامناً: أن من أراد أهلها بسوءٍ أهلكه الله.

عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ" (٢).

(١) صحيح البخاري (٧٢١١).

(٢) صحيح مسلم (٤٩٢).



الخاتمة

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله
 ﷺ، فهذه بعض الفوائد المستنبطة من سيرة النبي ﷺ من بداية
 نشأته وتسميته وحتى هجرته إلى المدينة، فإن كان في جمعي
 من خطأ فمني ومن الشيطان، ولا أدعى لعملي البشري كما لا
 وأسأل الله لي القبول وأن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات
 وخير زاد لي يوم القيامة والحمد لله رب العالمين .

كتبه /

أبو أنس قححي بن عيد صالح الزغم



فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	الفائدة الأولى: اسم النبي ﷺ
١٢	الفائدة الثانية: حكمة تسم النبي ﷺ
١٧	الفائدة الثالثة: الحكمة من رعي الأغنام
٢١	الفائدة الرابعة: بوادر بركة النبي ﷺ وطرق تحصيلها
٢٨	الفائدة الخامسة: حكمة شق صدر النبي ﷺ
٣١	الفائدة السادسة: أول الواجبات وآخر الوصايا
٣٥	الفائدة السابعة: الأخلاق الفاضلة تيسر طريق الدعوة
٤٠	الفائدة الثامنة: من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه



٤٥	الفائدة التاسعة: قوة تأثير القرآن في النفوس المشركة
٥٣	الفائدة العاشرة: أسباب الهجرة إلى الحبشة
٥٨	الفائدة الحادية عشرة: النهي عن الاستغفار للمشركين
٦٣	الفائدة الثانية عشرة: موت أم المؤمنين خديجة <small>رضي الله عنها</small>
٦٧	الفائدة الثالثة عشرة: مكاسب رحلة الطائف
٧١	الفائدة الرابعة عشرة: الإسراء والمعراج دروس وعبر
٧٩	الفائدة الخامسة عشرة: حماية الفطرة في بيعة العقبة الأولى
٩١	الفائدة السادسة عشرة: التربية في بيعة العقبة الثانية



٩٨	الفائدة السابعة عشرة: خوف قريش من هجرة النبي ﷺ
١٠٤	الفائدة الثامنة عشرة: أسباب الهجرة إلى المدينة
١١٤	الفائدة التاسعة عشرة: حكمة اختيار المدينة داراً للهجرة
١١٨	الفائدة العشرون: ثمار الهجرة
١٢٤	الفائدة الحادية والعشرون: فضل المدينة المنورة
١٢٩	الخاتمة
١٣٠	فهرس الموضوعات

تم بحمد الله



